الدكتور
محمد أحمد خاطر

في اللهجات العربية

مقدمة للدراسة

١٩٧٨ - ١٩٧٩

مطبعة الحسين الاسلامية
٢٥ حارة المدرسة - خلف جامع الازهر - القاهرة

إيضـــاح

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعـــد

فقد كان القصد أن يجرى هذا العمل حتى يتم على المنهج الذى تقرر له في مقدمته (ص ٢٣ ، وكان العنوان المقترح له « محاضرات في اللهجات العربية .. وشاء الله سبحانه ألا ينشر منه إلا هذا القدر الذى بين يديك الآن وحالت دون طبعه على ما تقرر له حوائل .

وحين عرضت حاجة لتقديم هذا القدر على ما هو عليه لزم تحوير في العنوان ليطابق اللفظ معناه ، والاسم مسماه ، فصار عنوانه :

« في اللهجات العربية ـ مقدمة للدراسة »

وإذا قدر الله عز وجل ويسر وأعان . وهيأ لما بقى منه أن يظهر وينشر فهو القصد والرجاء ، وإلا فالمرجو أن يكون فيما بين يديك منه نفع وفائدة إن شاء الله ، وليس كل مالا يدرك يترك .

والرجاء في الله سبحانه وتعالى أن يتقبله ، وينفع به . وأن يهيء له أن يتم على ما تقرر له وقدره ، وله ـ جل علاه ـ الأمر من قبل ومن بعد ، سبحانك لا حول ولاقوة إلا بك عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم النبيين ، وعلى عباده الذين اصطفى من الأولين والآخرين إلى يوم الدين .

وبعد

فهذه طائفة من المباحث فى علم اللهجات العربية ، تتناول بعضا من قضاياه : تعريفا به ، وعرضا للعوامل والمؤثرات التى تؤدى باللغة إلى التطور ، ومن ثم إلى نشأة اللهجات ، وتحليلا لأهم الظواهر اللهجية التى تطالع القارىء والباحث فى كتب التراث ، وبحثا عن جذورها وفروعها وامتدادها قديماً وحديثاً . وقد يتخلل ذلك حديث عن مصطلح ، أو عرض لمنهج ، أو لمحة من تاريخ ، أو تصوير لحال من أحوال العرب اجتماعية أو سياسية أو دينية أو غيرها ، ولكنها جميعها تدخل فى إطار دراسة اللهجات ولا تكتمل بدونها .

ولا ادعاء أن هذه الدراسة هى ما ينبغى أن يكون أو قريبة منه ، فذلك حسب التصور لا يقوم به جهد العصبة من الباحثين فى جيل واحد ، ولا يقدم فى دراسة قصيرة ولا عمل موجز ، فما الظن بجهد فردى فى فترة وجيزة ! !

والمرجو بعد أن يجد هذا العمل مكانا إلى جانب أعمال طيبة سبقت فى هذا الميدان ، فيد حاجة ، أو يثير فكرة ، أو يضيف لبنة فى بناء هذا العلم الذى مايزال - على ماتم فيه من إنجازات - فى دور الاختبار والتجربة ، بله التكون والنشأة والنمو .

وعسى جهود أبناء العربية أن تتضافر على سد هذه الثغرة فى درسها ، وبولوها من الاهتمام بقدر مالها من أثر وخطر ، ويأتى يوم تكتمل فيه دراسة اللهجات ، أعطيت حقها وأوزرت ، فاستغلظت فاستوت على سوقها. وإذن تسفر العربية عن بديع من الجمال والجلال ، وتبوح بأسرار معتقة حجبتها قرون طوال .

والله أسأل عونا ورشادا فى القصد والعمل ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

تمهيـــد

تعريف بعلم اللهجات

لم يذكر القدماء دراسة اللهجات بين علوم العربية إلا أن لهذه الدراسة من المقومات ما لأى علم آخر اعتدوه من حد وموضوع ومسائل وهدف وغير ذلك مما يسمح لنا بأن نسميه علم اللهجات ، وهو — على ما قرره مجمع اللغة العربية — : «علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام فى لغة من اللغات[1] » . أو هو : « علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع عن لغة أو لغات أخرى . . »[2] .

موضوعه : ويتناول علم اللهجات انقسام لغة ما إلى عدة لهجات مرتبطة بها كثرت أو قلت ، والأسباب المؤدية إلى هذا الانقسام ، والصلة بين اللغة الأم[3] ، وبين ما تفرع عنها من لهجات فرادى ومجتمعة . وبين كل لهجة وشقيقتها ، وخصائص كل من هذه اللهجات والعلاقات التى تنشأ بينها ، وما يعرض لها فى صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف ، وانزواء أو انتشار ، وموت أحياة وما قد يكون من سيادة إحداها على سائرها ، وتحولها تبعا لذلك — أو غيره — إلى لغة ، وآثار كل فى صاحبتها ، وتأثرها بها ، ثم استنباط القوانين التى سارت عليها اللغة فى كل ذلك .

---

(١) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤/٩٣ . (٢) السابق ١٥/٢٢١

(٣) مصطلح استفاده علم اللغة من علم الحياة حين تأثره بعلوم الطبيعة ومناهجها ، ويقترح تخصيصه للغة التى تتفرع عنها لهجات ، وتخصيص « اللغة الأصل » لتلك التى تتفرع عنها لغات ، فالأم كالعربية مع عامية مصر والشام والعراق والمغرب . . . إلخ والأصل كالسامية مع العربية والعبرية والآرامية . . . إلخ .

فهو - بإيجاز - يعرض لتطور نظام لغوى ما ، تتولد عنه أنظمة أخرى جديدة ، لا تتطابق معه تماما ، ولا تكتفى بنفسها اكتفاء تاما . أولا يقر أصحابها هذا الاكتفاء ، أثرا لأحوالهم المختلفة : سياسية واجتماعية ودينية وحضارية وغيرها . ويبحث عن عوامل ذلك ، ويرصد نتائجه ويوضح آثاره . ويقرر القوانين التى حكمت هذا التطور ، فإذا تجاوز التطور هذه الحدود ، بأن أصبحت الأنظمة الجديدة مكتفية بنفسها ، وأقر المتكلمون هذا الاكتفاء . صارت هذه الأنظمة لغات منفصلة تنتمى إلى أصل واحد ، وخرج البحث فيها عن نطاق علم اللهجات .

صلته بعلوم اللغة الأخرى :

ليس من المتوقع قيام حدود حاسمة بين هذا العلم وعلوم اللغة الأخرى ، فالحدود بينها جميعاً مفتوحة تتبادل التأثر والتأثير ، والإفادة ، إلا أن علم اللهجات يمت بسبب وثيق إلى علم اللغة التاريخى ، فهو فرع من فروعه ، ولكنه لا يستغنى عن فروع علم اللغة الأخرى : الوصفى والمقارن والجغرافى يحتاج إلى علم اللغة الوصفى حين يدرس لهجة ما فى زمن غير ممتد ، يرصد ويسجل ، ويصف ويحلل ، ويخضع للتجارب ويستنبط القواعد والقوانين .

وإلى المقارن فى إبراز الصلات ، ووجوه الشبه والاختلاف ، ومظاهر التأثر والتأثير ، والتلاقى والتمايز بين لهجة وأخرى ، أو بينها وبين اللغة الأم .

وإلى الجغرافى فى رسم الأطالس . وتوضيح مناطق شيوع كل لهجة ونفوذها ، وميادين استعمالها . ومكانتها بين أخواتها ، وما تمثل من قيمة ثقافية أو اجتماعية ، أودينية أو اقتصادية ، وعدد المتكلمين بها ، وضروب النشاط التى يمارسونها ، ومايتوقع لها فى المستقبل وما إلى ذلك .

نشـأته : « علم اللهجات على هـذا النحو نتاج غربى حديث ، أفرزه وكشف عن الحاجة إليه ذلك التقدم الواسع الذى أحرزه الغربيون فى مجال الدراسة اللغوية ، وعلى نهجهم حذا علماء العربية - أو حاولوا - بعد اتصالهم بهم حديثا .

وعلى هذا فإننا لن نجده بين العلوم التى عرفتها العربية قبل الاتصال بالغرب ، وسنفتقده إذا بحثنا عنه فى الدواوين التى سجلت هذه العلوم وأحصتها، مثل : « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة » لطاش كبرى زاده ، و « أبجد العلوم . . لمحمد بن عبد المجيد خان وغيرها مع أنها أحصت من العلوم مايزيد عن الثلاثمائة ، ومع أنهم عدوا كثيرا من أفرع هذه العلوم علوما منفردة ، وعدوا ترتيب الحروف مثلا علما على حدة .

بل لن نجد مصطلح « لهجة » بين مصطلحات العلوم فى كتاب مثل : « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى ، أو « التعريفات » للجرجانى ، أى أن العرب لم يعرفوا علم اللهجات « ولا مصطلح اللهجة إلا حديثا .

ولا يعنى هذا إلا أن العرب لم يفردوه بالتأليف - اللهم إلا مجموعة رسائل صغيرة تناولت اللغات فى القرآن ، أو لغات القبائل[1] - وإن كانوا قد عرضوا لكثير من مباحثه . ولكنها موزعة فى شتى مصادر الثقافة العربية بين كتب اللغة والأدب وتاريخه ، وشرح النصوص الأدبية ، والقراءات القرآنية ، والتفسير والتاريخ والنحو وغيرها .

وجه الحاجة إليه : لا شك أن منهج الدراسة لأى علم من العلوم يرتبط بالهدف المنشود منه ، ومن ثم تتحدد الوسائل التى تحقق هذا الهدف

---

(١) انظر : المعجم العربى نشأته وتطوره : حسين نصار ٧٠ - ٨٤ ط - دار الكتاب العربى - القاهرة ١٩٥٦ م

أو تدوين على تحقيقه من مصطلحات ومسائل وقضايا ومناهج وقوانين ونحو ذلك ، والظن أن الاهتمام بالعربية يرجع إلى أنها :

١ — لغة القرآن الكريم .　　　٢ — لغة الحضارة والتراث .

٣ — اللغة الموحدة للأمة العربية .

وعليه ينبغى أن يبدأ علم اللهجات - وأى علم من علوم العربية - من هذه المنطلقات ، ويوظف فى خدمتها ، وتقاس أهميته بما يجدى فى ذلك ، ونخال لعلم اللهجات مكانا شاغرا ، يغنى فيه أطيب الغناء لو وجه التوجيه الرشيد ، ذلك :

* أننا ندرك الحاجة الماسة إلى الوقوف على مراحل تطور العربية ، ومعالم كل مرحلة فى تاريخها المديد ، فى الأصوات والحروف . والمفردات صيغة ودلالة . وفى الجمل والتراكيب والأساليب وغيرها ، لنصبح على فهم أفضل للغتنا ، ونتمكن من تقديم الحلول دقيقة أو أقرب ما تكون إلى الدقة فى كثير من قضاياها على مختلف المستويات ، فنعرف لماذا ماتت أصوات وتحورت أخرى ، وننفى عنها شبه الاضطراب والفوضى التى رميت بها فى الكثير من ظواهر ومباحثها ، كالاشتراك اللفظى والمعنوى وتعدد الصيغ للمعنى الواحد ، واختلاف الضبط . وكثرة المصادر والجموع السماعية ، وظواهر الشذوذ المختلفة ، كل ذلك ونحوه تقدم لنا فيه دراسة اللهجات حلولا نابعة من صميم اللغة ومنهجها ، دون حاجة إلى اصطناع مناهج غربية تفرض عليها ، وتفسر ظواهرها .

* والدراسة المكتملة للهجات قديمها وحديثها تمكننا من اكتشاف القوانين التى سارت عليها العربية فى تطورها ، والعوامل التى وجهت هذا التطور وأثرت فيه ، وارتباط كل ظاهرة بمسبباتها فى المكان أو الزمان ، وستظل دراسة العربية قاصرة عن الكمال المنشود لها حتى يوقف على

كل ما يتعلق باللهجات وقضية التطور ، حينئذ تبوح لنا بأسرارها ، وينقشع عنها ما يلفها من حجب ، وتسفر عن مزيد من وضاءة وسحر ، ثم يتيح لنا هذا سبيلا للتنبؤ بمستقبلها ، وبمصير أية ظاهرة تكون فيها ، كما يمنحنا قدرا من السلطان على توجيهها والتحكم فيها ما أمكن ، بما يخدم احتياجاتنا المتنوعة .

* كما أن العربية تفتقر إلى معجم تاريخى ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من لغات متقدمة ، بل هى إليه أشد حاجة للارتباط الوثيق بين حاضرها ومستقبلها وبين ماضيها . والدراسة الواعية الدقيقة المستوعبة للهجات قديمها وحديثها من أول الأسس التى يقام عليها مثل هذا المعجم ، وبدونها لن يكون ، ولن يكتمل :

* ثم إن اللهجات وثيقة الصلة بالقراءات القرآنية ، وما يرتبط بذلك من آفاق دينية ، خدمة لنص القرآن وفقهه ، وأحكامه وآدابه ، وما يكون من رد مطاعن ، واكتشاف إعجاز .

* وإهمال اللجات غير الفصحى يحرمنا من نتاج أدبى وثقافى عريق ، من فنون مختلفة ، منظومة ومنثورة ، عامرة بالصور والأخيلة ، وضروب من التفنن والابتكار فى الاستعمال اللغوى ، والصياغة الشعرية ، ولا يخلو من تجارب جادة أصيلة ، ومعان طريفة تروق وتعجب - ولعل من عرفنا وتأثر بأدبنا الشعبي من شعوب العالم أكثر ممن عرفنا وتأثر بأدبنا عن طريق الشعر الجاهلي مثلا - وهذا يمثل رافدا ثرارا للأدب الفصيح ، يغذيه ويقويه ، ويقدم له طرائق للتجديد فى الموسيقى وبناء القصيدة ، ولا يبعد أن يمدنا بمعاونات صادقة فى فهم نصوص من الأدب الفصيح ظهرت فى هذه المجتمعات .

* ثم هى مازالت محتفظة بعناصر لغوية اندثرت من اللغة المكتوبة ،

وربما أهملها أصحاب المعاجم ، وربما وسموها بما ينفر منها ، ولا يسمح لها بالدخول فى دائرة الاستعمال ، فقالوا إنها رديئة أو منكرة أو مذمومة ونحو ذلك بينما هى حية تملك من مقومات الحياة وعناصر الخلود ما مكنها من الانتصار فى صراع البقاء ، ولا تخلو هذه من أن تكون مددا للفصحى فى معركتها الحضارية الراهنة .

* والتراث اللغوى الشعبى أدبا وغيره ، مكتوبا ومنطوقا يساعدنا على دراسة وفهم العادات والتقاليد والقيم ، وأنماط السلوك للجماعات والشعوب العربية قديما وحديثا ، والوقوف علـــى أحوالها المختلفة دينية ونفسية ، واجتماعية وحضارية . . إلخ ، وبالجملة يوقفنا على جذور الشخصية العربية ، وعلى العوامل والمؤثرات والرواسب التى تحكم تصرفاتها ومواقفها تجاه أمور الحياة والأخلاق والمجتمع وكل ما يحيط بها ، وربما أفادنا هذا ـ خاصة علماء الاجتماع والمصلحين وأصحاب الدعوات ـ فى التحكم فى أنماط السلوك لهذه الجماعات ، وتوجيهها التوجيه السليم ، واقتلاع ما قد يكون لديها من أنماط مرغوب عنها ، وترسيخ وتقوية ما يرغب فيه .

* والكشف عن الظواهر اللغوية المشتركة فى شتى أرجاء الوطن العربى يقوى دعوة الوحدة ، ويوثق الروابط بين الجماعات والشعوب العربية على تباعد الديار . ونزوح الأقطار ، فما زال العربى فى قرارة نفسه يرتاح للانتماء العرقى ، ويهش له ، فإذا ما تبين له أن ما ينطق به ينطق به أخ له فى منطقة أخرى نائية عنه ، تأكد أن الدم واحد واللغة واحدة إلى جانب الروابط الأخرى ، وهذا مطلب لا يستهان به لتأكيد قضية الوحدة ، ودحض دعاوى الانفصال .

* ثم إن هناك بعض فوائد عملية من دراسة اللهجات ، وهذا ما لا ينكر فى المجال العسكرى فى أعمال التجسس ، وبث الشائعات والدعايات المختلفة والحرب النفسية ، وكذلك لدى رجال الشرطة حين يريدون أن يتسللوا

إلى جماعة أو تنظيم ما أو عصابة مثلا ، فلا بد للجاسوس ولرجل الشرطة من دراسة لهجة المنطقة التى يجمع منها المعلومات دراسة دقيقة ، وإلا افتضح أمره وفشل فى مهمته ، كما أنها ضرورية فى الاذاعات الموجهة ، ومن الممكن أن يفيد منها كل من يريد التعامل مع أصحاب اللهجة فى نشر دعوة أو فكرة أو ترويج سلعة ، ونحو ذلك من الأغراض .

• ويبقى بعد ذلك أن دراسة اللهجات ضرب من المعرفة ـ ولو مجردة ـ فإن ساغ لأحد أن يغفلها فلن يسوغ لدارس العربية والمهتم بها .

مصادر دراسة اللهجات :

يقوم علم اللهجات فى العربية على دراسة اللهجات القديمة والحديثة على السواء . فصيحة وغيرها ، مكتوبة وغيرها ، ومن ثم يعتمد فى دراستها على : ـ

• الإشارات المتناثرة إلى اللهجات العربية القديمة فى كتب التراث من لغة وأدب وتاريخه وكتب التفسير والطبقات والتاريخ والنحو وغيرها ، وربما وجدناها خصبة إلى حد ما فى القراءات القرآنية وفى المعاجم ، إذا نظرنا إلى ما كان من قبيل المشترك اللفظى أو المعنوى ، وما اختلفت فيه الصيغة ، على أنه آثار لهجية ، أو على الأقل ندرسه على أساس هذا المبدأ حتى يثبت وجه غيره فحين نجد فعلا له مصدران فأكثر ، أو مفردا له عدة جموع ، أو ماضيا أو مضارعا جاء فى عينه ضبطان أو أكثر ، ونحو ذلك لا نغفل فى دراسته احتمال أن يكون من اختلاف اللهجات وكذلك حين نتمكن من ربط قراءة ما بلهجة محددة نستطيع أن نعزو كل ما فى هذه القراءة من ظواهر إلى اللهجة التى ارتبطت بها . وكذلك المادة التى تقدمها كتب أو رسائل اللغات ، سواء كانت فى القرآن ، أو فى لغات القبائل . فهى على قلتها من المصادر النافعة المباشرة .

* المعلومات والنماذج التى قدمها - عفوا أو قصدا - فريق من العلماء عن اللغة المستعملة فى أيامهم ، أمثال الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ١٥٠ - ٢٥٥ هـ) فى « البيان والتبيين » و « البخلاء » وغيرهما ، ومثل : الهمدانى (أبى محمد الحسن بن أحمد - ٣٣٤ هـ) فى « صفة جزيرة العرب » والمقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد - ٣٧٥ هـ) فى « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » وابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد / ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) فى مقدمته وغيرهم .

* الكتب التى ألفت فى التنقية اللغوية ، ولحن العامة ، مثل : كتاب « ما تلحن فيه العامة » المنسوب إلى الكسائى (على بن حمزة - ١٨٩ هـ) و « إصلاح المنطق » لابن السكيت (أبى يوسف يعقوب بن اسحاق - ٢٤٤ هـ) وابن قتيبة (عبد الله بن مسلم - ٢٧٦ هـ) فى « أدب الكاتب » ، ومثل : « درة الغواص فى أوهام الخواص » للحريرى (أبى محمد القاسم بن على - ٥١٦ هـ) وغير ذلك [1] .

* الموشحات وفنون الأدب الشعبى منظوما أو منثورا ، كالمواليا ، والدوبيت والقوما ، وكان وكان ، والزجل ، والحماق ، وعروض البلد الذى

---

(١) انظر مجموعة من كتب اللحن فى كتاب : « لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة » د / عبد العزيز مطر / ٥٧ - ٧٠ الدار القومية ١٩٦٦ م ، وأخرى فى « لحن العامة والتطور اللغوى د / رمضان عبدالتواب ، واستدراكات عليها فى : « حركات التنقية اللغوية فى ضوء النحو بمعناه العام » رسالة دكتوراه د / عبد الفتاح السيد سليم بكلية اللغة العربية ٣٧ وما بعدها . ومجموعة أخرى عن العامى والدخيل فى « المعجمات العربية ببليوجرافية شاملة مشروحة » وجدى رزق غالى ٤٠ - ٤٥ الهيئة المصرية العامة . / ١٩٧١ م . وكذلك فى مجلة المجمع ١ / ٣٥٠ - ٣٦٨

تحدث عنه ابن خلدون[1] ، وقصص ألف ليلة وليلة[2] ، وما بعد ذلك كقصة ذات الهمة ، وسيرة عنترة بن شداد ، وسيف بن ذى يزن ، ورحلة بنى هلال ، والظاهر بيبرس وغيرها .

* ما كتبه المستشرقون والغربيون عامة عن اللهجات العربية ، سواء كان عن حسن نية ، بهدف الدراسة العلمية ، واحتذاء لما يفعلونه بلغاتهم أو عن سوء نية ابتغاء للقضاء على الفصحى وإحلال العاميات محلها ، ليلتثر شمل الأمة العربية ، وكذلك ما كتبه من تبنى دعوتهم من العرب .

* ما كتب عن اللهجات الحديثة فى محاولة لتأصيلها ، وإرجاعها إلى أصولها الفصحى ، أو لبيان ما طرأ عليها من تغير وتحور ، خاصة فى أعمال مجامع اللغة العربية فى القاهرة وبغداد ودمشق ، وأعمال المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط .

* ما كتب بهذه اللهجات فى مصر وغيرها ، وما صدر بها من أعمال أدبية فى القصة أو المسرحية أو الشعر أو الفكاهة أو غيرها ، فى كتب أو دوريات .

* ما أنجز من دراسات متخصصة لبعض اللهجات القديمة والحديثة فى الجامعات وغيرها ، والكتب التى صدرت عن اللهجات عامة .

---

(١) انظر نماذج منها فى الفصل الأخير من مقدمة ابن خلدون ، وفى المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشيهى الباب ٧٢ .

(٢) انظر فصلا بعنوان : الأصول التاريخية للعامية البغدادية فى ألف ليلة وليلة من كتاب : « التطور اللغوى التاريخى » د / إبراهيم السامرائى ، محاضرات ألقاها على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٦ ط - الرائد .

* اللهجات الحية المستعمله فعلا فى الـكلام على ألسنة العرب المعاصرين فصيحة أو غير فصيحة فى شتى أنحاء الوطن العربى .

هذه هى أهم المصادر التى يستقى منها علم اللجهات العربية ودارسها مادته التى يقوم عليها ، ويخضعها للدراسة .

كيف ندرس لهجة ؟

دارس اللهجات العربية يهتم بأنواع منها ، فصحى وغـــيرها ، قديمة وحديثة مكتوبة ومنطوقة ، والخطوط العامة للدراسة تكاد تـكون واحدة ، وفى مقدمة ما ينبغى على دارس لهجة ما مراعاته مايلى :

* أن يقف منها موقف العالم المتجرد ، لا يتعصب لها أو عليها ، ولا يتأثر فى معالجتها والنظر إليها بعاطفة ما ، ولا يحـكم ذوقه الخاص وهواه فى شىء من مراحل الدراسة ، ويدرسها على أنها ظاهرة علمية تدخل فى محيط تخصصه ، شأنه شأن العالم فى معمله يدرس جمادا أو نباتا أو حيوانا .

* أن ينظر إليها على أنها نظام لغوى قائم بذاته ، لها ما لأى لغة من عناصر ومقومات وأنظمة ، فى الأصوات ، والمفردات صيغة ودلالة ، والجمل والتراكيب ، وأساليب البيان وطرائق التعبير المختلفة ، ولا يفرق فى منهج الدراسة بين لهجة تمثل أدنى المستويات ، وأخرى تمثل أرقاها .

* أن يـكون على قدر مناسب من العلم بالأصوات . والدربة الكافية على سماعها والنطق بها ، ليـكون قادرا على سماعها إن كانت مسموعة ، والنطق بها فى دقة ، مما يساعده على الدراسه الصحيحة .

أن يحيط بما كتب عن اللهجة التى يدرسها إلى أقصى مدى يستطيعه ثم بعد ذلك يقوم بما يلى .

* أولا : ـ جمع المادة الصالحة للدراسة ، وفى اللهجات المـكتوبة يستعين

بالمصادر التى سبقت الإشارة إليها ، أما فى اللهجات المنطوقة فيكون الجمع من أفواه المتكلمين ، وفى هذه الحال :

* إما أن يأخذها من جماعات من أصحاب هذه اللهجة دون اختيار ، أو من اثنين أو أكثر يختارهم نماذج تمثل لهجة بيئتهم أو طبقتهم ، ويعد هؤلاء المختارون رواة أو أدلة أو مخبرون ، وفى الحالين ، إما أن يجمع كلاما عفويا ، يصدر تلقائيا من المتكلم دون توجيه من الدارس ، وإما أن يجمع كلاما موجها لتوضيح ظاهرة معينة ، ومن طرائق توجيه الكلام أن يكون إجابة عن أسئلة محددة ، تشتمل هذه الإجابة على ظاهرة ما ، صوتية أو صرفية ، أونحوية أودلالية ، أوعلى مجموعة ظواهر ، ويمكن أن يتم التوجيه باستدراج المتكلم إلى حديث يوضح هذه الظاهرة ، أو الظواهر التى تتعلق بها الدراسة .

* ويتطلب الاعتماد على الأسئلة أن تعد إعدادا جيدا منظما ، حتى تأتى الإجابة وافية بحق الظاهرة من البحث والدراسة من جميع جوانبها ، وإذا كان المدروس مجموعة ظواهر فينبغى أن توجه كل مجموعة من الأسئلة إلى ظاهرة واحدة حتى تستوفيها ، ثم ينتقل إلى مجموعة أخرى لظاهرة ثانية .. وهكذا . وتراعى هذه الأمور عندما يتم التوجيه عن طريق الاستدراج كذلك ، وهذا يحتاج من الدارس إلى خبرة ومهارة وذكاء وحذق .

الأطالس اللغوية :

ومن الطرائق المتبعة فى جمع المادة اللغوية مايتبع فى الأطالس اللغوية ، وهى من أهم الوسائل الحديثة التى تساعد على دراسة اللهجات ، تبين حدودها المكانية وعدد المتكلمين بها ، والأغراض التى تستخدم فيها ، والطبقة التى تمثلها ، وعلاقتها بغيرها ، ومناطق الاتصال وتبادل التأثر والتأثير بينها وبين اللهجات أو اللغات المجاورة وما إلى ذلك .

ويتكون الأطلس من مجموعة من الخرائط[1] قد تصل عدة آلاف - كل منها توضح ظاهرة أو أكثر من ظواهر اللهجة أو اللغة ، ويستعان فى توضيح هذه الظواهر بمجموعة من الرموز توضع على الخريطة فى مواطن شيوعها . ويفضل أن تكون هذه الرموز من الأشكال الهندسية كالمثلث والمربع والمستطيل والدائرة وغيرها ، وينوع فيها عند الحاجة إلى زيادتها بأن تستعمل مرة مفرغة . وأخرى مظللة ، أو مظللا بعضها ، أو مخططة أو منقطة وهكذا .

ترسم الخرائط بمقياس رسم مناسب (١ - مليون فى الأطلس السويسرى ١ - ٢ مليون فى الأطلس الألمانى) . وهناك نوعان من الأطالس .

تحليلية : وفيها تتناول الخريطة عنصرا واحدا ، كنطق القاف ، أو الجيم مثلا فى البلاد العربية ، أو الكلمات التى يدلون بها على الرجل ، أو البيت ، أو العبارة التى تؤدى بها التحية ، أو تقال فى استقبال أو وداع ونحو ذلك .

وتركيبية : وفيها توضح الخريطة عنصرين أو أكثر ، كصيغ الفعل الماضى أو أنواع الجمع ، أو الضمائر ، أو أنواع الجمل ، أو نطق حروف الشفة مثلا .

والمشهور من طرق إعداد الأطالس طريقتان : ألمانية ، وفرنسية :

« أما الطريقة الألمانية فقد ابتكرها وقام بتنفيذها فنكر Wenker

---

(١) فى المعجم الوسيط : « الأطلس مجموع مصورات جغرافية ، وأطلقه القدماء على شمال إفريقية ، ويصور حديثا على هيئة جبار يحمل السماء أو الكرة الأرضية (دخيل) » . « والخريطة : وعاء من جلد أو نحوه يشد على ما فيه و - (فى إصطلاح أهل العصر) : ما يرسم عليه سطح الكرة الأرضية ، أو جزء منه (ج) خرائط (مولدة) » .

وخلاصتها : أنه ألف أربعين جملة تمثل أهم مايجرى على ألسنة الناس كل يوم فى بلاده ، وطبعها على شكل استمارة بها بيانات خاصة على النحو الآن بعد تعديلها بما يوافق اللهجات العربية ، أما الجمل فقد أوردنا نماذج منها مترجمة بنصها عن الأصل الألمـانى .

صحيفة أسئلة لغوية خاصة باللهجات العربية الحديثة

الجهة التى سمعت فيها اللهجة العربية أو سجلت :

المركز : المديرية :

الراوى اللغوى الذى نقلت عنه اللهجة	المسجل اللغوى الذى سمع اللهجة وسجلها :
الاسم :	الاسم :
السن :	السن :
المهنة :	المهنة :
محل الميلاد :	محل الميلاد :

الجملة العربية الفصحى	الجملة فى اللهجة الحديثة
١ — تسقط أوراق الشجر شتاء وتتناثر فى الهواء .	
٢ — ضع شيئاً من الفحم فى الفرن حتى يغلى اللبن .	
٣ — كانت النار قوية حتى لقـد احترق الفطير واسـود من من شدة الاحتراق .	
٤ — إنه يأكل البيض دائماً بغير ملح أو فلفل[1]	

(١) مجلة المجمع ج٧/٨١ - ٨٢ ، الاطلس اللغوى ، د/ خليل عساكر

ثم توزع هذه الصحف على مناطق عديدة ـ بلغت ٥٠ ألف جهة فى الأطلس الألمانى ـ ثم تجمع الإجابات وتفرغ المعلومات اللغوية التى فيها، وتعد الخرائط على أساسها للأصوات، والمفردات معانيها وصيغها، والتراكيب وغيرها من العناصر اللغوية، ثم ترسم خريطة عامة على ضوء الخرائط التفصيلية، تبين الحدود النهائية المناطق اللهجية إجمالا.

وأما الطريقة الفرنسية: فتقوم على إعداد خريطة المنطقة التى يراد دراسة لهجاتها، وتختار منها مجموعة بلاد أو قرى، يراعى فيها أنها تمثل البيئة اللغوية التى تحيط بها ـ تراوحت بين ٣٠٠ ـ ٦٤٠ جهة فى الأطالس التى أعدت ـ ثم يؤلف كتاب يحتوى على أسئلة ـ بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ ـ تشتمل إجاباتها على أهم الأمور الموجودة فى كل هذه المناطق، وتشيع كلماتها فى الحياة اليومية لدى كل الفئات، كالكلمات الدالة على أفراد الأسرة، وأعضاء الجسم وصفاته، وأسماء الصناعات والصناع، وأوقات النهار، والملابس والأطعمة.. إلخ.

ويراعى أن تكون إجابة والسؤال كلمة واحـــدة، وترتب الأسئلة موضوعيا لتوفى كل مجموعة من الأسئلة والإجابات دراسة ظاهرة معينة، أوعنصر أو عدة عناصر مترابطة وتوزع نسخ من «المساءلة اللغوية»[1] على باحثين لغويين دربوا بدقة، يذهبون إلى الأماكن المختارة، يوجهون الأسئلة ويسجلون الإجابة، ويدونون ملاحظاتهم التى تدخل فى عناصر اللغة وتحليلها، ولا تسجلها الأجهزة، ثم تدرس هذه المادة المسجلة وتحلل، وترسم الخرائط على ضوئها.

---

(١) المصلح الذى أقره المجمع لكتاب الأسئلة ويعنى: «مجموعة كبيرة من الأسئلة اللغوية، يستعان بها فى دراسة اللهجات الإقليمية والاجتماعية، ووضع المصورات اللغوية» (مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٩٦/٤).

ومن المهم أن يلحق بالأطلس تعليق يشتمل على مفتاح رموزه ، وعلى الملاحظات التى لم تسجل فى الخرائط ولها أثر فى اللغة (١) .

* وأفضل طرق الجمع ، وأدقها تصويرا للهجة ، وأكثرها إحاطة أن يكون الجمع من أكثر عدد ممكن من المتكلمين . وهم يمارسون نشاطهم اللغوى العادى فى مجالات القول المختلفة . فى السوق و المسجد والعمل والبيت والنادى ، فى جدهم وهزلهم ، وهم فى حوار أو جدل أو ثرثرة ، يحكون ويقصون ويغنون ، فى التحية والوداع ، فى التهنئة والمواساة ، فى عفاف وفحش . لدى جميعهم صغارا وكبارا ، رجالا ونساء ، وكلما تنوعت المادة وتعددت مصادرها كان أفضل .

* وسواء أكانت مأخوذة عن الجمهور أم عن راو ينبغى الاستيثاق من أن من أخذت عنهم اللهجة يمثلونها أصدق تمثيل ، ويختار هؤلاء من الذين لم يتعرضوا لتأثير لغوى غريب عن لهجتهم ، من لهجة أو لغة أخرى ، نتيجة الاختلاط بأصحاب هذه اللهجة أو اللغة . أو طول الاستماع إليها فى قاعات الدرس ، أو من إحدى وسائل الإعلام المختلفة ، وكلما كان هؤلاء من الأميين ، قارين فى موطنهم لم يبرحوه ولم يختلطوا بغير أبنائه كان أسلم وأدق ، ويراعى أن يكون نطقهم سليما ، خاليا من العيوب الكلامية ، وأن يتكون لديهم القدرة على الفهم والتعبير .

* وفى كل الأحوال يحتاط جامع المادة من أن يشعر المتكلم بأنه يراقبه ، أو يسجل عليه قوله . ويحرص على أن يكون الكلام طبيعيا ،

---

(١) انظر : أطالس المأثورات الشعبية د/ محمود فهمى حجازى بمجلة الفنون الشعبية . فبراير ١٦٩٨ ، أسس علم اللغة ١٣١ - ١٣٤ ماريو باى . منشورات جامعة طرابلس سنة ١٩٧٣ ، مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان ٦٨ - ٧٢ ط ـ الرسالة سنة ١٩٥٥ .

لا تكلف فيه ولا تأنق ولا تزويق ، وكلما تم ذلك دون شعور المتكلم كان أفضل ، وعلى جامع المادة أن يكسب ثقة المتكلم أو المتكلمين ، ويجعلهم يأنسون إليه ، ولا يدعهم يشعرون بأنه غريب عنهم ، دخيل عليهم ، وإلا احتاطوا فى الكلام معه ، ولم يبوحوا له بأسرار لهجتهم .

* وعليه أن يختبر دقة المتكلم ، ويتأكد من إخلاصه له ، ومن عدم تكلفه فى الكلام ، أو تزييفه ، ويمكن أن يعيد بعض الأسئلة بصيغ مختلفة أو يستدرج المتكلم إلى حديث سابق ، أو يستعيده الكلام ، وقد كان علماء العربية الأول يفعلون شيئاً من ذلك ، فيختبرون الأعراب الذين يقدمون عليهم من البوادى ، ليطمئنوا إلى فصاحتهم ، وخلوص لغتهم[1] .

والمهم أن يبذل أقصى جهده لجمع الكلام كما هو فى بيئته بدقة تامة .

* وعليه أن يكون يقظا ، سريع الملاحظة ، حاضر البديهة ، قوى الذاكرة ليحتفظ بكل مايلابس الكلام فى المقام والسياق أو يصاحبه ، من إشارة أو انفعال : غضب أو دهشة أو سرور ، أو تغير فى نغمة الصوت ، أو رفعه أو خفضه ، أو التأكيد على نبر بعضه ونحو ذلك ، كما يهتم بالمقام الذى قيل فيه ، والمتكلم : سنه ونوعه ، ومهنته ، والطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها ، والذين وجه إليهم الكلام ، والأثر الذى أعقبه ؛ وكل ما يدخل فى تحليل اللغة وتقويمها لفظا ومعنى ، من عناصر مادية وغير مادية ، ويسجل هذه الملاحظات فى حينها إن أمكن ، وإلا سجلها بعد ذلك .

* وأفضل الوسائل التى يستعان بها فى الجمع أجهزة التسجيل الصوتى الحديثة إذ إن الكتابة ـ صوتية وغيرها ـ مهما بلغت من الدقة فلن تصور

---

(١) انظر : الخصائص لابن جنى ـ ط دار الكتب ٢/١٣ ، ٣/٢٧٣-٢٨٢

كل جوانب الكلام المسموع ولن تنقله كما هو تماما ، كما أن الكاتب عرضة للخطأ فيها ، وهى لا تمكن من استرجاع النطق ، واستعادة السماع عند الحاجة إليه وعليه أن يكمل بملاحظاته ما يكون من قصور فى وسيلة التسجيل الآلى ، فالأذن البشرية لا تعادلها أحدث الأجهزة وأدقها فى التقاط خصائص الأصوات ومميزاتها ، وهى أقدر من الآلة فى بعض النواحى .

ثانياً : يمرن سمعه ولسانه مرانا كافيا على سماع اللهجة والنطق بها ، حتى يصير كأحد أبنائها قدر المستطاع ، ليتمكن من فهمها ، والوقوف على خصائصها وأسرارها التى تميزها عن غيرها ، فى مختلف عناصرها ومستوياتها ، ويتمكن بذلك من كتابتها ودراستها بدقة لفظا ومعنى ، ويمكنه أن يستعين بأصحاب هذه اللهجة فى تصحيح ما يقع فيه من خطأ ، أو ما قد لا يلاحظه هو من انحراف فى استخدامها نطقا وغيره .

ثالثا : أن يبحث عن نظام مناسب يكتب به هذه اللهجة ، ويجب أن يكون صالحا لتدوينها بدقة ، والتمييز بين عناصرها المختلفة خاصة الصوتية ، ويمكن أن يستعين بأبجدية الأصوات الدولية ، أو بما أقره المجمع من رموز لتدوين اللهجات ويتصرف فيه بما يتفق مع اللهجة ، أو يصطلح على نظام ما ، بشرط الدقة والضبط ، والالتزام الأمين به .

رابعاً : يعد المادة للدراسة ، فيستخرج منها العناصر والظواهر التى سيخضعها للدراسة إن لم يكن الجمع موجها ، ويصنفها إلى مستوياتها المختلفة (الأصوات المفردات : صيغة ومعنى ، التراكيب ، الأساليب) يحلل كل مستوى إلى عناصره ويصفها فى مناحيها المتنوعة .

ففى الأصوات : يحدد مخارجها ، وصفاتها ، والحروف التى تنتظمها بحسب عرف واصطلاح أصحاب اللهجة ، ويوضح ما يطرأ عليها من تغير فى تركيب الكلمات تبعا لما يجاورها سبقا ولحاقا ، وما لا يقع منها فى مواقع

معينة ، ومايكثر تجاوره ومايقل، ومايمتنع ، وما إذا كانت أصلية أو مزيدة أو مبدلة من غيرها ، ووظائفها في الكلام .

وفي الصيغ : يبين أقسام الكلام ، ويحدد أوزان الأفعال بأنواعها مثلا وتصرفاتها المختلفة ، وكذلك الأسماء . المفرد والمثنى والجمع بأنواعه والمذكر والمؤنث والجامد، والمشتق، والتصرفات التي تتوارد عليها، ومايعرض من تطور يغير صيغتها ، بإبدال أو إعلال أو قلب أو حذف أو زيادة ، وماقد يكون لبعضها من خصائص ، وقيمتها في المعنى..

وفي المعاني : يحدد أنواعها ، ويكشف عن أصولها ، والتطورات التي حدثت فيها ، وعلاقتها باللفظ ، وما فيها من حقيقة أو مجاز ونحو ذلك .

وفي الجمل والتراكيب : يحدد أنواعها ، ومكوناتها ، والعلاقات التي تحكمها من حيث الموقع والإضافة والمطابقة وغيرها ، وما تشتمل عليه من روابط وأدوات .

وفي الأساليب : يوضح الوسائل التي تستعين بها في تلوين التعبير ، والتصرف في أداء المعنى ، والمقامات المختلفة التي يستخدم فيها الأسلوب ، وقيمة الاختلاف بين المقامات في معنى الأسلوب .

ثم يسجل النتائج التي وصل إليها ، والقوانين التي حكمت هذه اللهجة في عناصرها وظواهرها المختلفة ، وقد يعد لها معجما إن أراد .

نحن واللهجات :

أما قديما فلم يكن هناك عمل منفرد في اللهجات ـ اللهم إلا رسائل اللغات ـ ومنذ أواخر القرن الماضي بدأت أبحاث وكتابات عن اللغات العامية . بعضها حاول إرجاعها إلى أصولها من العربية ، ومن أهم ما صدر من ذلك : مميزات لغات العرب ، وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها ، وفائدة علم التاريخ من ذلك ، للأستاذ / حفني ناصف ، وهو بحث قدمه إلى جمعية

العلوم الشرقية التى عقدت فى فيينا سنة ١٨٨٦ م استجابة لاقتراح د/ مرتين هرتمن : M.hartiman أستاذ اللغات الشرقية فى برلين . والاقتراح فى وجوب ، جمع الكلام الدراج لما فى ذلك من أهمية فى معرفة تاريخ العربية ، وعلى ما فى هذا البحث اعتمد كثيرا د/ إبراهيم أنيس فيما بعد فى كتابه : « فى اللهجات العربية » (انظر مقدمة الطبعة الأولى)

ومنذ أنشىء مجمع اللغة العربية بالقاهرة[1] جعل من مهامه دراسة اللهجات ، وكون لذلك لجنة سميت « لجنة اللهجات » « وتبحث فى تنظيم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ، فى مصر وغيرها من البلاد العربية.» وتألفت أول أمرها من: الشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ إبراهيم حمروش - وكلاهما تولى مشيخة الأزهر - وحسن عبـــد الوهاب أفندى ، والأب أنستاس مارى الكرملى وعيسى اسكندر المعلوف ، والمستشرقين : فيشر وجب وليتمان .

وقد تتابعت جهود أعضاء المجمع فى دراسة اللهجات ، وإن كان الغالب عليها الإيجاز والسرعة ، وعدم الإحاطة بكل عناصر اللهجة المدروسة . وهناك بحوث كثيرة فى أعداد مجلة المجمع ، وفى دورات الانعقاد[2] .

وفى تقويم أعضاء المجمع لجهودهم فى هذا الصدد قالوا : « نستطيع أن نقرر أن اللهجات العربية لم تدرس بعد الدرس الكافى ، أهملت فى الماضى

---

(١) صدر مرسوم إنشائه فى ١٤ شعبان ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢/١٢/١٣ م ، ومرسوم تعيين أعضائه فى ١٦ جمادى الثانية ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣/١٠/٦ م ، وعقد أولى جلساته فى ١٤ شوال ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤/١/٣٠ م .

(٢) انظر : مجلة المجمع ٢١/١ .

(٣) من ذلك فى أجزاء المجلة : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ... وفى الدورات : ١ ، ٤ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ...

لما شاع من احتقار العامية ومايتصل بها ، وخشية أن تضار الفصحى بدراسة أية لهجة سواها ، ولا نزال نحذر هذا حتى اليوم[٤] .

وإذا كان هذا إقراراً بالقصور والتقصير فى دراسة اللهجات الحديثة ، فإن حظ اللهجات القديمة من هذين أعظم وأجزل .

وقد صدرت مجموعة دراسات تحمل عنوان اللهجات منها :

* فى اللهجات العربية د / إبراهيم أنيس ط - ١ - / ١٩٤٦ .
* القراءات واللهجات . عبد الوهاب حمودة ١٩٤٨ .
* محاضرات فى اللهجات العربية وأسلوب دراستها / أنيس فريحة ١٩٥٥
* اللهجات العربية د / إبراهيم محمد نجا .
* من أصول اللهجات العربية فى السودان د / عبد المجيد عابدين ١٩٦٦
* لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط د/ عبد العزيز مطر ١٩٦٧
* اللهجات العربية فى القراءات القرآنية د/ عبده الراجحى ١٩٦٨
* اللهجات العربية الحديثة فى اليمن د/ مراد كامل ١٩٦٨
* لهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها ، ومعجم شمال المغرب د / عبد المنعم سيد عبد العال ١٩٦٨
* اللهجات العربية د/ عبد الحميد أبو سكين
* اللهجات العربية د/ عبد الله ربيع عبد العزيز علام (لم يتم)

وهناك رسائل علمية عن اللهجات لما تنشر بعد فى الكليات المعنية بدراسة العربية وبعضها قد نشر ، وتحفل بعض الدوريات بمقالات وبحوث عن اللهجات خاصة مجلة كلية آداب القاهرة ، وبعض أعداد مجلة الأزهر ، والدوريات

---

(٤) مجمع اللغة فى ثلاثين عاما - ماضيه وحاضره ٤٨ ، وانظر من ٤٦ - ٥٠ ومجموعة القرارات ١٥ - ١٧ .

وبعد فلعله من الواضح : بعد هذه الإلمامة السريعة ـ أن دراسة اللهجات العربية على النحو الأمثل ليست بالأمر الهين ، وحتى تتم على ما ينبغى لها تحتاج إلى جيش منظم من الباحثين ويخطط له بما يكفل استمراره حتى إنجاز المهام المنوطة به ، فلا يتوقف العمل فى الطريق لتخلف بعض أفراده أو انسحابهم من الميدان ، فيكون هناك دائما إعداد لمن يحل محلهم ويتابع المسيرة ، ينطلقون متجردين لأداء هـذا الواجب ، متسلحين بأقصى ما يمكن من العلم والرغبة والإخلاص ، والجلد والمثابرة ، تتجه بعض فرقه إلى التراث تنقب فى مختلف علومه وفنونه ، وتستخرج منه كل ما يتعلق باللهجات وتطور العربية ، وتتجه أخرى إلى أرجاء الوطن العربى وحيث وجدت جماعة عربية فيه أو خارجه ، تسجل ما فيها من لهجات قبل أن تمحوها أو تغيرها عوامل التقريب الآخذة الآن فى التأثير السريع لا عربية فحسب ، بل وعالمية أيضاً ـ من وسائل الإعلام المختلفة مقروءة ومسموعة ومرئية ، وانتشار التعليم ، وسهولة الاتصال ، وكثرته بين أصحابه اللهجات بل واللغات المختلفة ، وطغيان لهجات الحضر تبعاً لذلك على لهجات الريف والبادية . ولعله يقيض لتنفيذ شىء من ذلك بعض أبناء الوطن العربى فيسدوا ثغرة فى دراسة العربية ، ويسدوا إليها وإلى طلابها والناطقين بها يدا يحمدونها .

الباب الأول

دراسة نظرية

الفصل الأول

اللغة واللهجة : تعريف وعلاقة

اللغة :

يتكلم أصحاب اللغات واللهجات على اختلافها بسهولة ويسر ، كما يمارسون سائر أنشطتهم التي أتقنوها في مجتمعاتهم ، فأصبحت تصدر عفوية دون تفكير أوعنت ، أو بذل جهد ملحوظ ، اللهم إلا لدى بعض الأفراد في حالات مرضية خاصة ولو سئل أحدهم ما اللغة ؟ فربما أجاب : هي هذا الكلام ، أو الألفاظ ، أو الأصوات ذات المعنى مما يصـــدر عني وعنك وعن الآخرين ، ولكنه إذا راح يتأمل ويتعمق ويتتبع المظاهر التي تبدو فيها اللغة ، والحدود التي تفصل بين ما يعد من اللغة وبين ما لا يعد منها ، يحصى ويصنف ، فقد يجـــد نفسه محتاجا إلى إدخال تغييرات وقيود واحترازات على تعريفه ذاك ، تعمم أو تخصص ، تضيق دائرة ما يعد من اللغة ، أو توسعها ، فإذا سأل غيره عنها فقد يجد فهما آخر وتحديدا مخالفا للغة ، وهكذا يجد نفسه في النهاية أمام تصورات عديدة لما يعنيه كل باللغة . ويتضح أن تحديد مدلول هذه الكلمة « اللغة » ليس أمرا سهلا كما بدا له أولا ، شأنها شأن كثير من الظواهر التي تبدو مسلمة ، إنها مفهوم ما قد يشيع في تصورات الجماعة التي توجد فيها هذه الظواهر ، ولكنه مفهوم عام صامت فإذا دخل ميدان البحث والدراسة والفحص والتحديد الدقيق تبين لنا أن ما تصورناه اتفاقا يخفي وراءه كثيرا من وجوه الخلاف .

وإذا ذهبت تبحث عن تحديد « اللغة » وجدت كثيرا من الآراء يقدمها

الباحثون الذين تدخل اللغة فى نطاق تخصصهم ، قد تتباعد وقد تتدانى ، وقد تنصب على اللغة كما هى فى جوهرها ؛ وقد تركز على جانب منها هومايهم أصحاب تخصص معين فلنفحص نماذج من هـــذه التعريفات . لنخرج ـ أو نحاول الخروج ـ منها بمفهوم محدد دقيق ، مع ما نقف عليه من تصورات مختلفة عن هذه الكلمة ، ولنتذكر أن كثرة الاستعمالات المجازية المتنوعة لها قد ترسخ فى أذهاننا مفاهيم متضاربة أو متداخلة غير ثابتة الحدود ، وقد تكون بعيدة عن كنه اللغة ، ومما قيل فى تعريفها :

* « تلك التى تحمل معنى » أو « كل شىء له معنى مفيد » أو « كل شىء ينقل المعنى من عقل إنسانى لآخر[1] » . أو هى « أداة للتفاهم » أو « وسيلة لنقل المعانى[2] » .

وهى على هذا تشمل كثيرا من حاملات المعانى مثل :

(ا) الإشارات العضوية المختلفة التى يتفاهم بها الصم والبكم ومن على شاكلتهم ، والرقص الذى تتفاهم به بعض القبائل والعشائر فى أنحاء من إفريقية واستراليا وأمريكا الجنوبية ، وإشعال النيران وإطلاق الدخان للتعبير عن عن مدلول ما ، أو نقل رسالة سريعة إلى منطقة بعيدة ، والإشارات الضوئية التى يتفاهم بها البحارة أو قادة السيارات أو فرق الجيش المختلفة ، وكذا إشارات المرور ، وعلامات الطرق ، والرسوم والنصب وغير ذلك مما يدل على معنى وليس بصوت ولا كلام .

(ب) ما يدل على معنى من الأصوات الآلية كصفارات الإنذار ، وقرع النواقيس والطبول وصفارات البواخر وآلات التنبيه فى السيارات وغيرها ،

---

(١) أسس علم اللغة : ماريوباى . ترجمة د / أحمد مختار عمر ٣٥ ـ منشورات جامعة طرابلس ١٩٧٣ م .

(٢) نحو عربية ميسرة د / أنيس فريحة ـ ١٠ ـ ١١ ، ط بيروت ١٩٥٥ م

والإشارات الصوتية التي يتفاهم بها البحارة ونحوها من الأصوات ذات المعنى ولكنها لا تصدر عن الإنسان .

(ج) الأصوات التي تصدر عن الحيوانات والطيور للتفاهم فيما بينها ، أو للتعبير بها عن حالة أو حاجة . والمهتمون بدراسة الحيوان أو تربيته يعرفون الكثير عن أصواته ودلالة كل صوت .

(د) الأصوات التي يطلقها الإنسان بالنفخ في آلة . كالصفارات التي يستعملها رجال الشرطة أو حكام الكرة ، والأبواق التي تستخدم في الجيش ، ونحوها مما يطلقه الإنسان عن غير جهازه الصوتي للدلالة على أمر ما ، وكذا أنواع الصفير المختلفة بالفم حين يدل بها على معنى .

وهذه ونحوها لا تتبادر إلى الذهن حينما نستعمل كلمة اللغة ، ولا تدخل في اهتمامات اللغوي ، اللهم إلا حين يبحث في الدلالة والرمز ويتتبع جذور العلاقة بينهما وما يتصل بهما من نشأة وتطور ، وتعريف اللغة على هذا النحو يدخل هذه الأمور في صميمها ، وليس الأمر كذلك .

كما أنه يخرج من اللغة كثيرا من أنماط الاستعمال اللغوي ، مما يمكن أن يسمى بالهراء أو اللغو ، وكذلك حينما يخلو الكلام من المعنى ، فلا يكون ثمة معنى ينقل ، ولا فكر يتبادل ، ولا مقتض للتفاهم ، كقول « ابن سودون اليشبغاوي (٨١٠ - ٨٦٨ هـ) في قصيدته البائية التي يقول منها :

عجب عجب عجب عجب ... بقر تمشي ولها ذنب
ولها في بزبزها لبن ... يبدو للناس إذا حلبوا
لا تغضب يوما إن شتمت ... والناس إذا شتموا غضبوا
من أعجب ما في مصر يرى ... الكرم يرى فيه العنب
والنخل يرى فيه بلح ... أيضا ويرى فيه رطب
زهر الكتان مع البلسان ... هما لونان ولا عجب

وكقول « حسن الآلاتى » فى زجل له :

كسرت بطيخة رأيت العجب   فى وسطها أربع مداين كبار
وفى المداين خلق مثـــل البقر   فى كل واحدة أربع قواعى خضار
وفى القلاع أقوام طوال الذقون   ودمعهم يجـرى شبيه البحار
من دمعهم تزرع نجـوم السما   فى خاقة المشمش عديم المثال(١)

وقد جعل سيبويه من أقسام الكلام المحال ، والمحال الكذب ، والمستقيم القبيح فقال فى « هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة » .

« فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وماهو محال كذب .

فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسآتيك غدا .

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا ، وسآتيك أمس .

وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه .

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ فى غير موضعه ، نحو قولك : قد زيدا رأيت ، وكى زيدا يأتيك ، وأشباه هذا .

وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس(٢) » .

وفى بعض هذه لانجد معنى ، مع أننا ننظر لأمثال هذه الاستعمالات على أنها من اللغة ، ولايتبادر إلى الذهن إخراجها منها .

فتعريفات كهذه غير جامعة ولا مانعة ، إذ تخرج من اللغة ما ينبغى أن يعد فيها ، وتدخل ما لاينبغى أن يعد منها .

---

(١) اللغة الشاعرة : عباس محمود العقاد ١٥٦ - ١٥٧ الأنجلو - ط مخيمر سنة ١٩٦٠ .   (٢) كتاب سيبويه ١/٢٥-٢٦ هارون - ط دار القلم المصرى سنة ١٩٦٦ .

إلا أن من مزايا أنها تدخل العناصر غير الصوتية التى تصاحب الكلام أو تلابسه من إشارة وانفعال وسياق ومقام ويتوقف عليها دقة المعنى وكلة تدخل هذه فى اللغة .

* « مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر[1] » والإضافة فى هذا التعريف ونحوه تخصيص الدال على المعنى بالأصوات ، فتخرج وسائل التفاهم غير الصوتية ، وإذا قلنا إن الفكر خاص بالإنسان فإن هذا التعريف يخرج أصوات الحيوان والطير ، ولكن يبقى فى اللغة كل صوت دل على فكر ، سواء أصدره الإنسان بآلة أم بفمه .

* « كل لفظ وضع لمعنى » « الألفاظ الموضوعة للمعانى »[2] « ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[3] ولعله يقصد بهما : الألفاظ.«ألفاظ يعبر بها عن المسميات ، وعن المعانى المراد إفهامها[4] » « التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة فى كلمات[5] » « وظيفة التعبير اللفظى عن الفكر سواء كان داخليا أو خارجيا » « كل نظام من العلاقات الدالة يمكن أن يستخدم وسيلة للاتصال[6] » والإضافة فى هذه التعريفات ونحوها

---

(١) نحو عربية ميسرة ١٠ - ١١ (٢) ابن الحاجب والإسنوى انظر المزهر للسيوطى . النوع الأول، المسألة الأولى: وكشاف اصطلاحات الفنون (٣) التعريفات للشريف الجرجانى (على ابن محمد) (٤) الإحكام فى أصول أحكام - ابن حزم ١/٤٦ ط السعادة ١٣٤٥ هـ (٥) اللغة والمجتمع : رأى ومنهج د/ محمود السعران ١١ ط ٢ - دار المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٦٣ ، مقدمة لدراسة فقه اللغة د/ محمد أحمد أبو الفرج ٢٥ ط النقرى بيروت سنة ١٩٦٦ عن « هنرى سويت » (٦) اللغة والفكر د/ عثمان أمين ١١ معهد البحوث والدراسات العربية ط - النهضة الجديدة سنة سنة ١٩٦٧ عن لالند فى « معجم الفلسفة »

جعل الأصوات إنسانية ، فهى ألفاظ أوكلمات ، فلا يدخل فى اللغة أصوات الآلة ، وإن كان الإنسان هو الذى يطلقها من هذه الآلة .

وهذه التعريفات وما فى معناها تربط بين اللغة وبين الفكر أو المعنى ، ونقلهما وتبادلهما بين المتكلم والسامع ، فهناك فكر أو معنى ، وهناك لفظ حامل ، وهناك طرفان : مرسل ومستقبل ، ومن ذلك تحديد « جيفونز » لأغراض اللغة ووظائفها فهى أنها : وسيلة للتفاهم ، وأداة صناعية تساعد على التفكير ، وأداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليها(١) .

ولكن الغالب على النشاط اللغوى أنه ليس كذلك ، فلو سجلت حديثا يدور بين جماعة دون شعورهم بذلك ، ولو فتحت جهاز التسجيل وأنت تتجاذب أطراف حديث تلقائى عادى مع مجموعة ما ، ثم رحت بعد ذلك تستخرج تلك المعانى التى عبرتم عنها ، ونقلتها الألفاظ لوجدتها هزيلة ضئيلة إلى جانب ركام هائل من الثرثرة لا يحمل فكرا ولا يعبر عن معنى ، ويبدو لك فى النهاية أن ما كنتم فيه إن هو إلا حفلة كلامية مارست فيه أعضاء النطق نشاطها ، كما تمارسه أعضاء أخرى فى حفلات تناسبها فى رياضة أو رقص ، أو سماع موسيقى ، أومضغ كندر (كبرش صمغ اللبان - كغراب) ونحو ذلك .

وقد تجد مجلسا لنسوة يتحدثن جميعا ولا مستمع ، ولا تجد معنى ينقل ولا فكرا يتبادل ، ولو جربت نفسك وقد مكثت فترة وحيدا ، دون أن تتحدث إلى أحد ، أو يتحدث إليك ، لوجدتك مدفوعا إلى الكلام ، تغنى أو تحدث نفسك . أو شيئاً كهذا ، وقد تلحظ أن الذين يعيشون فى وحدة

---

(١) اللغة بين الفرد والمجتمع - أوتو جبرسن . ترجمة د / عبدالرحمن محمد أيوب ٨ - الانجلو ط - لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٤ . قضايا لغوية د / كمال بشر ٧ ، ط - دار القومية سنة ١٩٦٢ . اللهجات العربية د / إبراهيم محمد نجا ٥ ط السعادة ، اللغة والمجتمع د / السعران ١٣ ومابعدها .

وعزلة ، أولا يتيح لهم نمط حياتهم أن يتكلموا بما فيه الكفاية يندفعون في الثرثرة عندما يصادفون من يستمع إليهم - أو من يتوهمونه كذلك - في المفيد وغير المفيد ، وقد تجد أما تتحدث إلى وليدها في المهد ، أوسيدة تخاطب دواجنها ، أو رجلا يتحدث إلى فرسه أو غيره من حيواناته ، بل يكلم جمادا وقد ما شكا شعراء العرب إلى الدمن والأطلال ما يكابدون من لوعة الوجد ، وحرقة الفراق ، وباحوا لها بما انطوت عليه أفئدتهم من هوى ، وما يضطرم في جوانحهم من صبابة ، واستعانوا على أسفارهم بمخاطبة الإبل وفي بعض هذه تجد متكلما ومستمعا وألفاظا ، ولا تجد فكرا يتبادل ، ولا معنى يوصل ، وفي بعضها قد لا تجد معنى ولا مستمعا وفي بعض قد لا تجد المستمع وما يمارس في كل ذلك لغة بلا شك .

ثم إن قصر هذه التعريفات للغة على الأصوات والألفاظ يهمل جانبا من عناصر اللغة لا سبيل إلى إغفاله ، فما يصحب الألفاظ من إشارات وما قد يلابسها من أمارات دهشة أو فرح أو تعجب ، أو غضب أو فزع ونحوها والمقام الذي تقال فيه ، والسياق الذي ترد فيه ، والمتكلم والسامع والعلاقة التي بينهما ، والأثر الذي يترتب على الكلام ، كل هذه لا سبيل إلى إغفالها ونحن ننظر إلى اللغة ، خاصة إذا ربطناها بالمعنى والفكر ، وكلها أمور غير صوتية ولا ملفوظة .

« وإلى تاليران » الفرنسي تنسب تلك العبارة المشهورة ألا وهي : أن اللغة كائنة لتخفي أفكار الإنسان ، وقد حسن هذه العبارة « سورين كير كجارد » إذ قال : إن اللغة يستعملها كثير من الناس لتخفي فقرهم إلى الأفكار[1] ، و وقد أخبر الله عز وجل عن أولئك المنافقين الذين يقولون « آمنا بالله وباليوم الآخر ، وماهم بمؤمنين»[2] ويقولون « نشهد إنك لرسول

---

(١) اللغة والمجتمع : السعران ٢٣ وانظر : اللغة بين الفرد والمجتمع أيوب ٧ .

(٢) البقرة ٨ .

الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ه اتخذوا أيمانهم جنة »[١] وعن أولئك المخلفين من الأعراب الذين قالوا للنبي عليه السلام : « شغلتنا أموالنا وأهلونا ، فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم »[٢]

وقد ألف ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى : ٢٢٣ — ٣٢١ ﻫ) كتاب الملاحن قال في مقدمته : « هذا كتاب ألفناه ليفزع إليه المجبر المضطهد على اليمين ، المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ، ويضمر خلاف ما يظهر ، ليسلم من عادية الظالم ، ويتخلص من حيف الغاشم ، يعرض فيه لمثل : « وتقول « والله ما رأيت فلانا قط ، ولا كلمته . فمعنى ما رأيته أى : ما ضربت رئته ، ومعنى كلمته : جرحته ، « وتقول : والله ما رأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصلياً ، فالراكع : العاثر الذى قد كبا لوجهه . . . والساجد . المدمن النظر في الأرض ، . . . والمصلى : الذى يجىء بعد السابق من الخيل . . »[٣] .

وقد عقد السيوطى النوع (٣٩) من المزهر لمعرفة « الملاحن والألغاز ، وفتيا فقيه العرب ، وقد أتى حين أغرم فيه الأدباء بالألغاز ، وكذا النحاة ، والنتاج في هذا كثير .

كما أن أولئك الذين درسوا النشاط اللغوى لدى الجماعات والعشائر البدائية انتهوا إلى « أن اللغة في الواقع هى طريق من طرق السلوك الإنسانى في ظرف عملى خاص ، وهى بهذا الاعتبار عامل من عوامل ربط الفرد بجماعته »[٤] .

* وقيل عن اللغة : « نظام من رموز ملفوظة عرفية ، بوساطتها يتعاون

---

(١) المنافقون : ١ ، ٢ (٢) الفتح : ١١ (٣) الملاحن : ابن دريد صححه وعلق عليه وذيله بذيل أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائرى : ٣ ، ٨ ، ٢٣ — ٢٤ ط . السلفية ١٣٤٧ ﻫ . (٤) اللغة بين الفرد والمجتمع : أيوب ١٢ .

ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة » وصاحب هذا التعريف « ادجار ستيرتفنت »[1] وهى عند « ادوارد سابير » : « وسيلة إنسانية خالصة ، وغير غريزية إطلاقا لتوصيل الأفكار ، والانفعالات والرغبات . عن طريق نظام من الرموز التى تصدر بطريقة إرادية . »[2]، وقد جعل د/ حسن ظاظا تعريف سابير للكلام لا للغة فقال فى تعريف الكلام : « والتعريف الذى نرتضيه نحن من وجهة النظر الأخيرة هذه (تعريفا جامعا مانعا ، يستطيع المشتغل بعلم اللغة وفقه اللغة أن يستند إليه أو يعتمد عليه) هو الذى ساقه العالم الأمريكى ادوارد سابير حينما قال : الكلام هو وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان ، وغير غريزية فيه ، تمكنه من تبادل الأفكار والوجدانات والرغائب بوساطة رموز صوتية اصطلاحية ، على وجه التغليب والتعميم ، تصدرها أعضاء النطق إراديا ، باندفاع الهواء خلالها من الداخل إلى الخارج[3] » .

« لعل خير تعريف للغة كما نألفها الآن ، ذلك الذى ارتضاه وقبله معظم الدارسين وهو أن يقال : إن اللغة نظام عرفى لرموز صوتية يستغلها الناس فى الاتصال بعضهم ببعض . »[4] .

وما تضيفه هذه التعريفات ونحوها أن الأصوات أو الكلام أو الألفاظ تكون نظاما ـ أو أنظمة ـ رمزيا إراديا ، فالأصوات غير الإرادية لا تدخل فى اللغة (ينظر كلام النائم والساهى والسكران والمجنون) والألفاظ التى

---

(١) قضايا لغوية: ١٤ ، اللهجات العربية: ٥ (٢) اللغة والمجتمع : السعران: ١١ مقدمة لدراسة فقه اللغة ٢٥ (٣) اللسان والإنسان : مدخل إلى معرفة اللغة د/حسن ظاظا: ٢٨ - ٢٩ ط ـ المصرى الاسكندرية سنة ١٩٧١ (٤) اللغة بين القومية والعالمية : د/ إبراهيم أنيس: ١١ ط دار المعارف سنة ١٩٧٠

لم يسبق التعارف عليها بين المتكلم والسامع لاتدخل فى اللغة ، وتصبح اللغات الأجنبية رطانة وعجمة لا لغة ، والأصوات رموز لمدلولاتها ، لا أنها ومدلولاتها شيء واحد ، ولا أن لها قيمة فى ذاتها دون ربطها بمدلولها ومعنى ترمز إليه ، وهى فى حاجة إلى تجربة ثابتة بالتكرير أو غيره تؤدى إلى الربط بين الرمز ومايدل عليه ، واكتساب الرمز قيمته ومعناه ، وهى لا تستعمل مفردة مفرقة . ولاتخضع لهوى الأفراد يستخدمها كل كما يحلو له دون ضوابط أوقيود ، وإنما تدخل فى نسق ، وتخضع لنظام يحكم العلاقة بين اللفظ والدلالة سواء كانت حقيقة أم مجازا ، ويحدد لكل لفظ مجاله وموضعه ومعناه ، ويحكم الأصوات فى علاقتها موقعا وجوازا .

وترجمة دلرظاظا لكلام دسابير ، تحددالطريقة التى تصدر بها الأصوات عن جهاز النطق الإنسانى ، وماعداها ـ كالتى تحدث عن أصوات الشهيق ـ لا تدخل فى نطاق اللغة أو الكلام

ويلاحظ على هذه التعريفات ماسبق فى ربط اللغة بالمعانى أو الأفكار والتعبير عنها ونقلها أو تبادلها .

* وقيل إنها «وظيفة اجتماعية» طريق للعمل» وهى عند «دى سوسير» «نتاج اجتماعى لملكة النشاط اللغوى ، وهى مجموعة من الأعراف الضرورية يستخدمها الكيان الاجتماعى ليسمح بمزاولة هذه الملكة عند الأفراد [1] » .

ولا يردهنا ماورد سابقا ، فدى سوسير لا يربط اللغة بالفكر والمعنى ونقلهما والتعبير عنهما ، بل بملكة النشاط اللغوى ، ومزاولتها عندالأفراد سواء كانت تعبر عن معنى وفكر أم لا ، وسواء كان هناك سماع أم لا ، ولكن يبقى هناك غموض وإبهام فى ملكة النشاط اللغوى ، وصعوبة فى

---

(١) فى علم اللغة العام د/عبدالصبور شاهين: ٢٧ ، ط دار العلوم للطباعة سنة ١٩٧٤ واللغة والمجتمع : السعران: ٢٤ .

دراستها، والوقوف على كنهها، وقد أخذ لفظ المعرف فى التعريف على حد قول المناطقة .

هذا والقول بأنها طريقة للعمل ، أو وظيفة إجتماعية ، أو نشاط اجتماعى ونحو ذلك لا يفصل اللغة عن غيرها من ألوان وضروب الأنشطة والطرائق .

* وقد عرفها « ابن جنى » وتبعه كثير من علماء العربية بأنها : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[1] » ، ولو توسعنا فى مدلول الأغراض لكان تعريف « ابن جنى » من أدق التعريفات وأشملها. فالذى يحدث نفسه ليؤنسها من وحشة ، أو يؤامنها من خوف ، أو يروح عنها من إجهاد ، أو ينفس عنها من هم ، أو استجابة لحال وجدانية ما، ونحو ذلك ، يصبح هذا غرضه ، وهو يعبر عن هذا الغرض ، وكذلك الذى يتكلم ليزاول ملكة النشاط اللغوى ، أو ملكة اللغة ، أو ربطا بينه وبين الجماعة واندماجا فيها ، فهذا هو غرضه الذى تعلقت به الألفاظ وعبرت عنه ، وجد المعنى والمستمع أو لا ، وإن كان يؤخذ عليه أنه لا يشمل العناصر اللغوية غير المنطوقة التى تلابس الكلام أو تصاحبه ، ولا يستغنى عنها فى تحليل اللغة وفهمها .

* « وفى تعريف أحدث جاء ما ترجمته : اللغة كما يعرفها علم اللغة الوصفى هى أنماط من النشاط الاجتماعى للإنسان ، يعرض أنماطا من المادة والصيغة والسياق ، واللغة كما يصفها علم حياة اللغة institutional linguistics عبارة عن مجموعة من مثل ذلك النشاط يقوم بها أفراد من الجماعة يعتبرون أنفسهم يتكلمون لغة واحدة[2] » .

هذه نماذج من تعريفات اللغة ، تمثل اختلاف وجهات النظر إليها ، كما

---

(١) الخصائص : لابن جنى ١ - ٣٣ تحقيق الشيخ محمد على النجار ط دار الكتب ١٩٥٢ م

(٢) مقدمة لدراسة فقه اللغة: ٣٢ .

تمثل اختلاف المدارس العلمية ، وتعدد ألوان الثقافة لمن تعرضوا لتحديد مدلول هذه اللفظة وما منها إلا وله وعليه ، وما منها ما يخلو من ملاحظة أو تصور وإذا كان هناك مساغ لتقديم اقتراح جديد لتعريفها يمكن القول بأن اللغة التى يهتم بها اللغوى وتقع فى ميدان بحثه : «نظام من رموز صوتية عرفية ، تعبر هى وما يصاحبها أو يلابسها عن غرض أو حال » ولعل هذا التعريف بمنجى من المآخذ التى وجهت إلى التعاريف السابقة ، ولا يغادر مجالا من مجالات الاستعمال اللغوى دون أن يحتويه ويندرج تحته[1] :

هذه التعريفات جميعا كانت للغة الإنسانية المتكلمة بالفعل أو بالقوة ، ويبقى أن لكلمة اللغة فى الاصطلاح العربى مدلولات أخرى ، فقد تطلق «على جميع أقسام العلوم العربية . . قال الجلبى : الصرف قد يطلق عليه اللغة أيضا . .[2]» .

كما تطلق ويراد بها «العلم الباحث عن جواهر المفردات[3]» ، وقد جعل ابن خلدون اللغة أحد أركان اللسان العربى الأربعة : اللغة والنحو والبيان والأدب[4] » .

وهناك من يرى أن كلمة لغة ليست عربية النجار ، ومن هؤلاء د /حسن ظاظا فيقول «والغريب فى لفظة «لغة» أنها لم ترد مستعملة فى لفظ كلام عربى يعتد به ، وإنما كانت العرب تسمى مجرد الضوضاء التى لا طائل من ورائها

---

(١) وانظر فى تعريف اللغة أيضا : فقه اللغة فى الكتب العربية د/عبده الراجحى ٥٩ — ٧٦ ط دار النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٧٢ ، ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة د / صالح الشماع : ٣٠ وما يليها ط - دار المعارف سنة ١٩٧٣ . (٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى .

(٣) المراهب الفتحية : الشيخ حمزة فتح الله ١ / ٢١ ط - الأميرية سنة ١٣١٢ هـ . (٤) المقدمة : ٢١٣ ط : الخيرية : ١٣٢٢ هـ .

لغوا . . فالعرب الخاص لم يكونوا يستعملون كلمة لغة فى كلامهم ، وإنما كانوا كغيرهم من الأمم السامية ، بل كأكثر أمم الدنيا يستعملون كلمة لسان للدلالة على اللغة ، وهكذا يطرد الأمر فى القرآن الكريم . . وإننا ونحن لانجد شاهدا واحدا على استعمال العرب لكلمة لغة بهذا المعنى العلمى الذى نعنيه ، ونظرا لما بدا من اضطراب اللغويين فى اشتقاقها . . لنميل إلى القول بأنها من أصل يونانى ، هو كلمة لوغوس - Logos - التى معناها الأصلى . كلمة وكلام . وذكر المختصون من استعمالاتها فى اليونانية : الوحى . والحكم أو الحكمة ، أو المثل أو المثال ، أو القصة أو المقالة أو القضية المنطقية أو التعريف أو التفكير . . إلخ ، وكل هذا يدور حول التعبير اللفظى عن الفكر لكن متى دخلت هذه الكلمة إلى اللغة العربية ؟ لاندرى ، ومن المحتمل أنها جرت على الألسنة بين بعض قبائل العرب ، حتى قبل الإسلام ، ولكنها لم تكن إذ ذاك فى أسماعهم من القبول والطنين بحيث تستحق أن تستعمل فى الشعر أو الخطب أو غيرها من فنون القول الاحتفالى ، التى كان العرب يدققون فى انتقاء الألفاظ له[1] » .

والأمر بعد فى حاجة إلى استقراء لاستعمالات هذه الكلمة ومواطنها فى التراث العربى ، حتى يمكننا أن نقطع بأنها عربية صريحة ، أو دخيلة معرقة فى القدم ، والشبه المثارة حول عروبتها مرجحة ـ على أحسن الاحتمالات ـ تحتاج إلى ما يفيد فيها الثبوت .

اللهجـــة :

من معانيها فى اللغة : اللسان . طرفه ، جرس الكلام ، لغة الإنسان التى جبل عليها ونشأ عليها فاعتادها ، طريقة من طرق الأداء فى اللغة ، يقال : فلان فصيح اللهجة ، وصادقها ، وفى الحديث : ما من ذى لهجة من أبى ذر . وفى رواية : أصدق من لهجة أبى ذر ، وضبطها بفتح الهاء وإسكانها

(١) اللسان والإنسان ١٣٠/١٣٢ .

والفتح أعلى وأقوى[1] .

وأما اصطلاحا فقيل فيها : « لسان فريق من الناس مراعى فيه قيود صوتيه خاصة ، تلاحظ عند الأداء[2] » أو « قيود صوتيه خاصة ، تلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة[3] » وقيل « مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك في جميع هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل ، تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض[4] » ، وقيل : « استعمال خاص للغة في بيئة معينة . ولاشك أن اللهجات جديرة بأن تدرس لذاتها مادامت لغات يتخاطب بها الناس ، وقد يكونون الغالبية والعامة[5] » أو : « نظام لغوى معين يتفرع عن لغة من اللغات ، ويتميز عنها بخصائص معينة ، وذلك كاللهجات المصرية أواللهجات السورية[6] » .

وقيل : « تلك الصورة من الاستعمال اللغوى الخاص بجماعة بشرية معينة ، من الجماعة الكبيرة صاحبة اللغة . والتى ارتبطت ببيئة جغرافية معينة ، لها سماتها ومظاهرها المتميزة » أو : « نظام لغوى تعبر به جماعة بشرية عن أغراضها ، وهـــذه الجماعة جزء من الجماعة الكبيرة التى تنسب إليها اللغة وتتصل اللهجة ببيئة لغوية هى جزء من البيئة الكبرى للغة[7] » .

---

(١) انظر : لسان العرب ، المصباح المنير ، أساس البلاغة ، المعجم الوسيط م : (لهج) ، وديوان الأدب للفارابى تحقيق د / أحمد مختار عمر ١/١٣٦ ، ٢٣٥ .

(٢) فقه اللغة العربية . د / إبراهيم محمد نجا : ٤ ـ ط ـ النيل / ١٩٥٧ .

(٣) اللهجات العربية : نجا / ٦ ـ ٧ ـ ط السعادة .

(٤) فى اللهجات العربية : د / إبراهيم أنيس / ١٦ . ط ـ ٤ ـ الفنيـــة الحديثة وانظر : الموسوعة العربية الميسرة (لهجة) . (٥) مجمع اللغة فى ثلاثين عاما ـ ماضية وحاضرة ـ ٤٧/ ـ (٦) مجموعة المصطلحات ١٥ / ٢٢١ . (٧) اللهجات العربية د / ربيع ، علام ٤٦ ، ٤٧ .

ويتحدث عنها « روبنز » على أنها « العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة » ويورد ثلاثة أسس مختلفة تذكر في تحديدها ، قد يرى بينها تناقض ، هي أن اللهجات :

١ — صيغ من الكلام مختلفة ، ولكن التفاهم بينها متبادل دون ضرورة لتعلمها .

٢ — هي الصيغ الكلامية المستعملة في حدود منطقة موحدة سياسيا .

٣ — هي صيغ لمتكلمين يستعملون نظام كتابة مشترك ، ويشتركون في مجموعة من المكتوبات الفصحى(١).

وبعض هذه التعريفات يقصرها على عنصر معين من عناصرها كالأصوات وبعضها يحصرها في مجموعة الصفات التي تفترق بها لهجة عن أخرى ، وبذلك يهمل معظم اللهجة ، إذ إن ما تمتاز به لهجة عن أخرى أقل كثيرا مما تشترك فيه ، وبعضها يربطها بالحدود السياسية ، أو بالبيئة الجغرافية ، ولا تخضع اللهجة لشيء من ذلك غالبا ، ففي الوحدة السياسية الواحدة قد نجد لهجتين فأكثر ، وكذا في البيئة الجغرافية الواحدة ، وبعضها ينظر إلى عدد المتكلمين وأنهم جزء من المتكلمين باللغة ، وكثيرا ما يحدث أن يكون عدد المتكلمين بلهجة أكثر من عدد المتكلمين باللغة التي نشأت عنها هذه اللهجة وكذا الأمر إذا أخذت البيئة في الحسبان ، وبعضها يراها جزءا من اللغة دون توضيح المراد بالجزئية . وتعريف المجمع « نظام لغوي معين ... » لا يفرق بين لهجة تتفرع عن لغة ، أي أنها كانت لهجة ثم صارت لغة ، كما هو الشأن في معظم اللغات الحية الآن ، التي كانت لهجات من لغات سابقة هي أصولها التي ترجع إليها .

والحقيقة أننا إذا أخذنا أيا مما نسميه لهجات ، وطبقنا عليه أي تعريف

---

(١) مقدمة لدراسة فقه اللغة د / محمد أحمد أبو الفرج ٩٣ ط النقري ، بيروت ١٩٦٦ عن كتاب روبنز : علم اللغة العام ٥٨

للغة نجده ينطبق عليه ، فكل لهجة فى حقيقتها - إذا بحثت منفصلة عن غيرها - لغة ، لها خصائصها وعناصرها المادية وغير المادية ، كاللغة سواء بسواء ، وعلم اللغة الوصفى يقر هذه الحقيقة ، وينظر إلى أية لهجة على أنها لغة قائمة بذاتها ، ويدرسها على هذا الأساس ، وينبغى أن تكون كذلك إذا أخذت على حدة .

إلا أننا إذا رحنا نتتبع الأنظمة اللغوية المختلفة - سواء اختلفت لتباين الفئات والطبقات ، أم لاختلاف البيئات والمواطن - فإننا نجد بعض الأنظمة لاتوجد بينها أوجه شبه ، ولا عناصر اتفاق أو اتحاد ، وإن وجد شيء من ذلك كان بمحض المصادفة ، وبعضها تربطها وشائج وعلاقات وتتضح فيها وجوه التشابه ، وتنتظمها عناصر مشتركة واحدة ، وتشيع فيها متداخلة متشابكة على تفاوت فى المقدار من نظام لنظام آخر .

فالأنظمة المتباينة تماما لكل عناصره الخاصة التى يتكون منها ، ويقوم عليها ، وهذه لغات ، والأنظمة المترابطة المتشابهة فيها عناصر مشتركة ، ولكل منها عناصر خاصة منفردة ، والعناصر المشتركة ليست ملكا لنظام واحد ولا قاصرة عليه وحده ، بما أنها مشتركة ، بل تشيع على صورة ما فى سائر الأنظمة المتشابهة ، فإذا عزلنا العناصر المشتركة وبقيت غير المشتركة صالحة لقيام نظام لغوى كامل ، أو أنظمة كاملة فهى لغات أيضا ، وفى هذه الحال تكون أوجه الشبه وعناصر الاتحاد والاشتراك قليلة .

أما إذا عزلنا العناصر المشتركة بين الأنظمة فلم يعد مابقى فى هذه الأنظمة مما انفردت به واستقلت صالحا لقيام نظام لغوى كامل فهذه الأنظمة شيء آخر غير اللغات ، إنها لهجات . وإذا أخذنا لهجة منها على حدة يمكننا أن نقول إنها لغة ، لأن لها كل المقومات التى تكون بها اللغة لغة . أما إذا أخذنا لهجة مع شقائقها أو أمها فلن تكون لغة ، لأن ما فيها من مقومات وعناصر

ليس ملكا لها وحدها ، فلا ينسب إليها ، ولو عزلنا ما تملكه هي دون غيرها ما وفى بحاجتها ، ولا كفاها للقيام بنفسها ، ويمكننا إذن أن نسمى نظاما ما لغة باعتبار ، ونسميه أيضا لهجة باعتبار آخر .

وقد يدخل فى تحديد اللهجة حس المتكلمين بها وتقديرهم لما يتكلمون به : أهو نظام منفرد لا يرتبط بغيره ؟ أم هو فرع من نظام آخر يرتبط بفروع أخرى أو بنظام آخر هو أصل لنظامهم ، فإذا كانت أوجه الخلاف بين نظامين أكثر من أوجه التشابه . وعناصر التباين أعظم من عناصر الاتحاد فالنظرة الموضوعية تقول إننا أمام لغتين ، ولكن إذا كان إحساس أصحاب هذين النظامين ، وعقيدتهم أن ما يتكلمون به ليس منفردا ولا قائما بنفسه ولكنه متفرع عن غيره ، أو يشترك وأنظمة أخرى يرتبط بها فإننا يصح أن نطلق على نظام كهذا مصطلح لهجة لا لغة ، فمثلا إذا جئنا بعربى من عامة المغرب وثان من عامة اليمن وثالث من شمال أو شرق العراق وضمهم محفل وتحدثوا فقد لا يفهم بعضهم عن بعض إلا قليلا ، وهنا نقول إن هؤلاء يتكلمون لغات مختلفة ، فإذا سألت أحدهم عن لغته أجاب بأنه يتحدث العربية ، وربما تعصب للطريقة التى يتكلم بها ، ورأى أنها العربية أو هى أقرب إليها من طريقة أو لغة صاحبيه . فإذا أتوا حد الإنصاف قال : إنه ينطق العربية بطريقته أو طريقة بيئته مثلا ، فينضاف هذا الإحساس وهذه العقيدة إلى القدر القليل من العناصر المتحدة فى كلامهم ونقول إن ما يتكلم به كل من هؤلاء لهجة لا لغة .

ومراعاة لهذه الحقائق جميعا يمكننا أن نعرف اللهجة بأنها : « نظام لغوى (أى : من رموز صوتية عرفية ، وتعبر هى ومايصاحبها أو يلابسها عن عن غرض أو حال) يرتبط بنظام آخر ، لا يطابقه تماما ، ولا يكتفى بنفسه اكتفاء تاما ، ويراه أصحابه كذلك » .

هـذا ولم تعرف كلمة « لهجة » بهذا المعنى الاصطلاحى ، ولا دخلت مصطلحات العلوم إلا حديثا ، ويبقى البحث فى أول من استعملها كذلك ، ولم يتح لى تقصيه ، ويبدو أن المستشرقين ـ خاصة الروس ـ هم الذين ربطوا الكلمة بهذا المعنى الاصطلاحى وأشاعوه ، وأن هذا المعنى قد دخل الاستعمال منذ القرن التاسع عشر . ففى مجموعة الكتب والدراسات التى التى ذكرها الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف عن اللهجات نجد كلمة لهجة أو لهجات فى عناوين بعضها ، مثل : « لهجات الجزيرة أو ما بين النهرين » لإلياس نيقولافتش برازين الروسى مدرس اللغة العربية فى فازان المتوفى سنة ١٨٧ م ، و « اللهجات العامية العربية » ، كتب فيها فصولا كثيرة يوسف سيانكوفسكى الروسى الذى كان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . . »(١) ونجدها بعد ذلك فى عناوين بعض الأعمال .

وقد استعمل القدماء للدلالة على اللهجة بمعناها الشائع الآن كلمات أخرى مثل : اللغة ، واللغية ـ تصغيرها ـ واللحن .

اللغة واللحن بمعنى اللهجة :

فالرسائل التى كتبت عن اللغات فى القرآن تعنى الكشف عما ورد فيه من كلمات بلهجات القبائل المختلفة .

والخليل (١٠٠ ـ ١٧٠ هـ) يقول مثلا « الخبع : الخبء فى لغة تميم ، يجعلون بدل الهمزة عينا » و « الذعاق بمنزلة الزعاق قال الخليل : سمعناه فلا ندرى ألغة هى أم لثغة » « قال الخليل : سمعت أعرابيا فصيحا من الصمان يقول : كل فرجة تكون بين شيئين فهى عقر وعقر » ـ بالضم والفتح ـ « والقنوع بمنزلة الهبوط ـ بلغة هذيل ـ من سفح »(٢) ويشيع مثل هذا فى المعاجم

(١) مجلة المجمع ١/٢٦٦ - ٣٦٧ ، وانظر من ٣٥٠ - ٣٦٨ .

(٢) العين : (م : خبع . ذعق . عقر . قنع)

المختلفة ومن أبواب الكتاب لسيبويه « باب ما أجرى مجرى ليس فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله »[١] ويشيع فيه ذكر لغة تميم أو الحجاز أو هذيل وغيرها ، وكذلك من جاء بعد من النحاة .

ويتحدث ابن فارس (ت ٢٩٥ هـ) عن اختلاف لغات العرب ، واللغات المذمومة ، وانتهاء الخلاف فى اللغات[٢]، وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) يتحدث عن الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا ، وعن تركب اللغات ، واختلاف اللغات وكلها حجة والعربى يسمع لغة غيره[٣] . والسيوطى (ت ٩١١ هـ) يتحدث عن : الضعيف ، والمنكر والمتروك ، والردىء ، والمذموم من اللغات ، وعن : تداخل اللغات ، وتوافق اللغات[٤] . والمقصود من ذلك كله ما نطلق عليه اللهجات .

وأما اللحن مرادا به اللهجة فهو ما ذكره ابن منظور قال : « واللحن الذى هو اللغة (اللهجة) كقول عمر رضى الله عنه : تعلموا الفرائض والسنن واللحن ، كما تعلمون القرآن ، يريد اللغة ، وجاء فى رواية : تعلموا اللحن فى القرآن كما تتعلمونه ، يريد : تعلموا لغة العرب بإعرابها وقال الأزهرى : معناه تعلموا لغة العرب فى القرآن ، واعرفوا معانيه ، كقوله تعالى : « ولتعرفنهم فى لحن القول » أى معناه ونحواه ، فقول عمر : تعلموا اللحن يريد اللغة ، وكقوله أيضا : أبى أقرؤنا ، وإنا لنرغب عن كثير من لحنه ، أى من لغته ، وكان يقرأ « التابوه » ، ومنه قول أبى ميسرة فى قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم سيل العرم » قال العرم : المسناة بلحن اليمن ، أى : بلغة

---

(١) الكتاب ١ / ٧٥ تحقيق : هارون .

(٢) انظر : الصاحبى ٢٨ ، ٣٥ ، ٦٧ ط الحلبى .

(٣) انظر : الخصائص ١ / ٣٧٠ ، ٢ / ١٠ ط دار الكتب .

(٤) انظر : المزهر الأنواع : ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨ .

اليمن ، ومنه قول أبي مهدي : ليس هذا من لحنى ولا لحن قومى .[1] » ،
وكان من خبر أبي مهدي - أن المهدي - هذا أو قدم عليه يحيى اليزيدى ،
وخلف الأحمر يسألانه أن ينطق : ليس الطيب إلا المسك - برفع المسك -
فأبى إلا أن ينصب ، فلما جهداه ليرفع قال مقالته الآنفة[2] ، وواضح
دلالة اللحن هنا على مانعنيه الآن باللهجة .

ومادام الحديث قد تطرق بنا إلى ما استعمله القدامى فى معنى اللهجة فلنلم
بطرف من حديثهم عن بعض مصطلحات تتصل بما نحن فيه ، وقد نجد فى
شيء منها وفى تعاريف سبقت للغة تطابقا أو تشابها . وذلك حديثهم عن
القول والكلام ، وقد بدأ بهما « ابن جنى » خصائصه . وقدم « باب القول
على الفصل بين الكلام والقول » على باب « القول على اللغـــة وماهى » ،
وحديث ابن جنى جماع ماقاله علماء العربية عنهما ، أما .

القـول : فقد جاء من معانيه : الكلام ، أو كل مامذل به اللسان تاما ،
أو ناقصا ، «فالتام هو المفيد ، أعنى الجملة وما كان فى معناها ، من نحو صه وإيه ،
والناقص ما كان بضد ذلك ، نحو : زيد ومحمد وإن ، وكان أخوك إذا كانت
الزمانية لا الحدثية[3] » . وعنى به سيبويه « الألفاظ المفردة التى يبنى الكلام
منها » ويستعمل مجازا فى دلالة الحال ، وفى الرأى والاعتقاد ، وقد يضمن
معنى الظن ، ويستعمل القول فى غير الإنسان ، - وقد رأى ابن جنى أنه من
باب الاتساع - فيسند إلى الحيوان والجماد ، ومن ذلك قول أبى النجم :

قالت له الطير تقدم راشدا   إنك لا ترجع إلا حامدا

وقول آخر :

وقالت له العينان سمعا وطاعة   وحدرتا كالدر لما يثقب

(١) لسان العرب : لحن .
ط صبيح عن أمالى القالى .
(٢) انظر المزهر للسيوطى ٢ /١٧٧
(٣) الخصائص ١٧/١

وآخر :

امتلأ الحوض وقال قطني   مهلا رويدا قد ملأت بطني

وفي القرآن الكريم ورد «مسندا إلى الله متبوعا بأمر ، أوغير متبوع به ، أو إلى الملائكة ، أو إلى بني آدم ، أو إلى الجن ، أو إلى الحيوان ، أو إلى الجماد»[1] ومعناه يختلف من استعمال لآخر لاعتبارات بينها من أسند إليه .

وهو عند النحاة : « اللفظ الدال على معنى » وقيل « عبارة عن اللفظ المركب المفيد » ، وقيل : عبارة عن المركب خاصة ، مفيدا كان أوغير مفيد . وهو على الصحيح عندهم أخص من اللفظ ، وأعم من الكلام والكلم والكلمة .

وقد عرفه الشريف الجرجاني بقوله : « هو اللفظ المركب في القضية الملفوظة ، أوالمفهوم المركب العقلي في القضية المعقولة » .

ومن معاني القول في العبرية : الصوت والنداء ، والخبر والإشاعة ، والضوضاء والضجيج والضجة والرعد[2] ،وكلها يرتبط بالصوت . وأما .

الكلام : فقد تناوله اللغويون والمتكلمون والنحاة ، وهو عند اللغويين القول ، وما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة ، والأصوات المفيدة ، أوعبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم ، ويقال : تكلم : تحدث ، وسمعته يتكلم بكذا ، وكالمه : ناطقه وحادثه ، وكانا متصارمين فأصبحا يتكالمان ولا تقل يتكلمان ، وقد يستعمل في غير الإنسان ، قال :

فصبحت والطـــير لم تكلم   جابية حفت بسيل مفعم

قال ابن هشام : « وأما معناه في اللغة فإنه يطلق على ثلاثة أمور :

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية (قول) وارجع فيه إلى المعاني المختلفه للقول وما تصرف منه .

(٢) انظر : قاموس عبري ـ عربي د/فؤاد حسنين علي ، فيلكس مزراحي

أحدها : الحدث الذى هو التكلم ، تقول : أعجبنى كلامك زيدا ، أى تكليمك إياه . (ومنه) :

فالوا كلامك هندا وهى مصغية   يشفيك ، قلت : صحيح ذاك لو كانا

والثانى : ما بالنفس مما يعبر عنه باللفظ المفيد ، وذلك كأن يقوم بنفسك معنى قام زيد ، أو قعد عمرو ، ونحو ذلك فتسمى ذلك الذى تخيلته كلاما ، قال الأخطل :

لايعجبنك من خطيب خطبة   حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفى الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والثالث : ما تحصل به فائدة ، سواء كان لفظا أو خطا . أو إشارة . أو ما نطق به لسان الحال ، قال الشيخ عبادة : « وسكت عن معنى رابع ، وهو القول ، أى المقول قل أو كثر . مهملا أو مستعملا ، مفيدا أو غير مفيد ، ومنه الحديث : لن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس ، وأقل ما يطلق عليه لغة حرفان أو حرف مفهم ، والظاهر اشتراط صدوره عمن له قصد وروية » ، وهو فى اصطلاح المتكلمين : المعنى القائم بالنفس . وعند النحاة : اللفظ المفيد أو : اللفظ المركب المفيد ، أو « اسم لما تركب من مسند ومسند إليه » أو : الجمله المركبة المفيدة . . . أو شبهها مما يكتفى بنفسه نحو : ياعلى ، ومما يخرج بقيد الإفادة المعلوم المخاطب . كالسماء فوقنا . والأرض تحتنا ، والنار حارة وشبهه .

وقال الفيومى : « فقول الرافعى فى الكلام ينقسم إلى مفيد وغير مفيد لم يرد الكلام فى اصطلاح النحاة ، فإنه لايكون إلا مفيدا ، وقد حكى بعض المصنفين أن الكلام يطلق على المفيد وغير المفيد ، قال : ولهذا يقال : هذا كلام لا يفيد ، وهذا غير معروف ، وتأويله ظاهر . . . » .

قال الشيخ يس : «وقال الرضى : الكلام لجنس مايتكلم به سواء به كان كلمة على حرف واحد كواو العطف أو أكثر ، أو كان أكثر من كلمة ، وسواء كان مهملا أولا ، إلى أن قال : وأما إطلاقه على المهمل فقولك : تكلم فلان بكلام لا معنى له » .

وقال ابن جنى « أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه . وهو الذى يسميه النحويون الجمل ، نحو زيد أخوك ، وقام محمد ، وضرب سعيد ، وفى الدار أبوك . وصه ، ومه ، ورويد ، وحاء وعاء فى الأصوات ، وحس ولب وأف وأوه ، فكل لفظ استقل بنفسه ، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام »(١) .

قال الشيخ يس : « وإطلاق الكلام على اللفظ حقيقى كما صححه فى الإرتشاف ، وقيل : مجازى فيه حقيقى فيما فى النفس من المعانى . وقيل مشترك بينهما ، وقال الفيومى : « ومن جعله حقيقة فى اللسان فإطلاق اصطلاحى ، ولا مشاحة فى الاصطلاح » .

والأصل التفريق بين القول والكلام . ومن أوضح الأدلة فى ذلك إجماعهم على أن يقال : القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله . ويجمل ابن جنى الفرق بينهما فى قوله : « فقد ثبت بما شرحناه وأوضحناه أن الكلام إنما هو فى لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها ، المستغنية عن غيرها ، وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل ، على اختلاف تركيبها ، وثبت أن القول عندها أوسع من الكلام تصرفا ، وأنه قد يقع على الجزء الواحد ، وعلى الجملة ، وعلى ماهو اعتقاد ورأى لاجرس ولفظ(٢) » . وقد يتوسع فيهما فيستعمل أحدهما فى معنى الآخر .

---

(١) الخصائص ١/ ١٧ . (٢) نفسه ١/ ٣٢ .

وواضح أن اهتمام علماء العربية بمصطلحى القول والكلام كان أكثر من اهتمامهم بمصطلح اللغة ، وأن تحديد هذه المصطلحات قد يتلاقى ويتداخل ويحد أحدهما بما هو حد الآخر ، وأن القول فى الغالب أعم من الكلام ، واللفظ أعم من القول واللغة تشمل الجميع ، واستعمال القول مع غير العاقل وفى غير ذى الصوت أكثر من استعمال الكلام فى ذلك ، وأن من مفاهيم الكلام : المعنى القائم بالنفس وكل مايحمل معنى من صوت أو غيره ، وأن القول والكلام يركز فيهما على الفرد الناطق أو المتحدث ، ولا يهتم فيهما بالعناصر غير الصوتية غالبا فهما إبراز اللغة فى صورة فعلية عملية ، بينما اللغة يلحظ فيها ـ إلى جانب الأصوات المناهج والقوانين التى تحكم عناصرها المختلفة ، وهذه لا تنطق بل هى أمور عقلية يسير عليها من يتكلم أو ينطق على منهج لغة ما .

فلا عجب إذا رأينا من المحدثين من يخلط بين اللغة والكلام ، فالدكتور : حسن ظاظا ، يتحدث عن الكلام ونشأته وأصله ، وتعريفه . والكلام والفكر ، ـ وقد يستعمل اللغة بدل الكلام أحيانا ـ بينما غيره يستبدل اللغة بالكلام فى ذلك كله ، ويورد تعريف إدوارد سابير على أنه تعريف للكلام (١) ، بينما يذكره آخرون على أنه تعريف للغة (٢) ، وقد عالج بعض لغويى الغرب الفرق بين اللغة والكلام ، ومن هؤلاء دى سوسير الذى يفرق بين اصطلاحات ثلاثة تعنى : اللغة ، واللغة المعينة والكلام ؛ واللغة مطلقا ظاهرة اجتماعية ، أما اللغة المعينة فهى « مجموعة من العلامات المختزنة فى العقل الجمعى ، ولا تنطق لأنها ليست فردية . . . وليست . فى عقل فرد أو وعيه ، وإنما

---

(١) اللسان والإنسان ٢٨/٢٩ (٢) مناهج البحث فى اللغة د / تمام حسان •• الأنجلو ط الرسالة سنة ١٩٥٥ م . مقدمة لدراسة فقه اللغة ، د / أبو الفرج ٢٥ .

هي شركة بين الفرد وبين بقية أفراد المجتمع اللغوى الذى يعايش فيه ، فهى توجد فى حاصل جمع عقولهم جميعا[1] ، واللغة مطلقا ملكة أو استعداد أو طاقة ، واللغة المعينة نتاج جمعى لهذه الملكة ، ومجموعة من الأعراف تسمح للملكات الفردية بالعمل . والفرق بين اللغة المعينة والكلام أنها « نظام والكلام أداء نشاطى طبقا لصورة صوتية ذهنية . وهو مجرد تشويش للهواء ، وتدرس هى عن طريق مناهج متعددة للدلالة والأسلوب والمعجم والنحو والصرف والتشكيل الصوتى ، ويدرس هو عن طريق منهج الأصوات ، واللغة المعينة مكتوبة مسجلة ، أو مفهومة صالحة للتطبيق الكلامى ، أما الكلام فهو هذا التطبيق الصوتى والمجهود العضوى الحركى الذى تنتج عنه أصوات لغوية معينة ، واللغة المعينة توجد فى المجتمع الناطق .. وأما الكلام فهو وظيفة الفرد المتكلم ، واللغة جهاز من الحروف والكلمات والصيغ والعلاقات النحوية فى مجتمع ما ، ويتعلمها الفرد اكتسابا فيدخل بذلك فى زمالة اجتماعية ، أما الكلام فهو التنفيذ الفردى والاستخدام الشخصى لهذا الجهاز ، وهى حقيقة اجتماعية ، وهو عمل فردى يشمل ما ينطقه ، أو ما يكتبه الفرد ، ونلحظ تقاربا بين حديث دى سوسير عن الكلام وبين حديث علماء العربية عنه فى جوهره .

أما جسبرسن فلا يتحدث عن لغة وكلام ولكن عن لغة المجتمع ولغة الفرد ، ولا يرى هناك صورا ذهنية وكلاما بل هناك حدث بالقوة وحدث واقعى ، والحدث اللغوى هو الواقعى لا الإمكانى ، وكلاهما مشروط اجتماعيا والفرق بين دى سوسور وبين يسبرسن كما يراه الأخير أن المرء إذا قال كلمة لا معنى لها فهى كلام عند دى سوسور لأنها عمل فردى فحسب ، وهى هراء عند يسبرسن ، لأن الكلام عنده مشروط من الناحية الاجتماعية بمطابقة مستوى

---

(١) مناهج البحث . / ٣٣ — ٣٤ .

صوابى معين [١]، وهناك آراء أخرى فى العلاقة بين اللغة والكلام يضيق بنا المقام لو تتبعناها [٢].

العلاقة بين اللغة واللهجة :

أما عن العلاقة بينهما : وفرق ما بين هذه وتلك فيمكن بحثهما من هذه الزوايا : المصطلح ، العناصر والخصائص ، المتكلمون . المكان . ومن حيث المصطلح : وجدنا أن كل ما يصدق عليه أنه لهجة . يصدق عليه أنه لغة ، ولا عكس ، أى أن بينهما عموما وخصوصا مطلقا . فأية لهجة يسفر عنها البحث فى بيئة أو وسط ما إذا أخذت منفردة على حدة ، ودرست ، تصدق عليها كل التعريفات التى تصدق على اللغة . وتزيد اللهجة قيدا : أنها لغة منظور إليها من جانب معين . وهو الارتباط بغيرها . غير أن اللغة ترتبط بما يندرج تحتها من لهجات أيضا ، ضرورة أن الارتباط من الأمور المتضايفة لا يتصور إلا بين طرفين ، ولكن اللغة يمكن أن تكتفى بنفسها ، ولا كذلك اللهجة ، ويتضح هذا من الحديث عن :

العناصر والخصائص ، وقد رأينا أن لكلا النظامين (اللغة واللهجة)

---

(١) المصدر نفسه ٤٤ .

(٢) ارجع إليها إذا شئت فى : مناهج البحث ٠ / ٣٠ – ٥٦ اللغة بين الفرد والمجتمع ، جسبرسن : ترجمة د /أيوب ١ - ٣٣ الانجلو ط : لجنة البيان العربى وانظر فى الحديث عن القول والكلام : الخصائص ١/٥ – ٣٢ والأشمونى وحاشية الصبان . وشرح التصريح على التوضيح لابن هشام وحاشية الشيخ يس . وشرح شذور الذهب لابن هشام وحاشية الشيخ عبادة ومادتى : قول . كلم فى : لسان العرب : أساس البلاغة . المصباح المنير . المعجم الوسيط . ومعجم ألفاظ القرآن الكريم .

من العناصر والخصائص ما يجعله مكتفيا بنفسه ، إذا درس على حدة ، ولكننا حين نذهب لجمع كل العناصر والخصائص التى يقوم عليها نظام ما ، بحيث تقتصر عليه وحده ، وتميزه عن غيره من الأنظمة ، ويفصل على أساسها بينه وبين غيره ، نجد أن هذه العناصر فى اللهجات متداخلة متشابكة مختلطة ، تتوزع فيها بدرجات متفاوتة ، بحيث يبدو من المتعذر إقامة حدود حاسمة بين لهجة وأخرى ، لأن عناصر هذه اللهجات واحدة تقريبا ، والفوارق بينها يسيرة ، ما هو مشترك فيها مع غيرها أكثر مما تنفرد به ، وليس ملكا لها وحدها ، فليس من خصائصها التى تقتصر عليها ، ولا يعد من مكوناتها ، وإذا عزلنا ما فيها من عناصر مشتركة لا تعد منها ، وما فيها من عناصر خاصة بها ، تمتاز بها عن غيرها ، وجدنا هذه الأخيرة غير كافية لتكوين نظام لغوى لا يحتاج إلى غيره ، وحينئذ لا تكتفى اللهجة بنفسها .

أما اللغة فعناصرها تتوزع وتشيع فى كل اللهجات التى تندرج تحتها ، وفيها ما فى كل لهجة وزيادة . ووجود هذه العناصر فى لهجات اللغة يقضى بأنها عناصر اللغة وخصائصها استعارتها منها اللهجات ، وحينما نعزل هذه العناصر ونحللها نجدها كافية لقيام نظام لغوى دون حاجة إلى اللهجات التى تتفرع عنها .

ولنا حينئذ أن نقول : إن اللهجة لا تكتفى بنفسها ، واللغة تكتفى بنفسها ، بالنظر إلى العناصر والخصائص الأساسية التى تقوم عليها أنظمتها ، والتى تحقق الانفراد أو لا تحققه .

ويمكننا أن نفرق بين اللغة واللهجة بناء على ذلك ، فإذا وجد نظام لغوى مخالف لنظام آخر تماما ، أوكان ما بينهما من الاختلاف أكثر مما بينهما من الاتحاد فهما لغتان ، وإن أمكن أن يعد كل منهما لهجة فى موازنة أخرى مع نظام يكون فيه الاشتراك بينهما أكثر من الافتراق .

ويصبح إطلاق مصطلح لغة أو لهجة على نظام ما أمرا نسبيا . فهو لغة إذا نظر إليه منفردا ، أو موازنا بنظام لا يشترك معه اشتراك العام مع الخاص ، وهو لهجة إذا نظر إليه مرتبطا بنظام آخر يشتركان معا فى الخصائص والعناصر ، أو يغلب فيهما ذلك .

فالعربية مثلا لغة . لها عناصرها ، واكتفاؤها الذاتى ، سواء نظر إليها فى نفسها ، أم موازنة بلغة أجنبية ، كالفارسية أو الانجليزية ، لأن مظاهر الاتفاق حينئذ ضئيلة ، لا تكاد تحس ، أم موازنة بالعاميات فى مصر ، واليمن والعراق . والمغرب ، وغيرها ، لأن ما بينها وبين هذه من ارتباط هو ارتباط العام بالخاص .

والعامية فى مصر مثلا لغة إذا نظر إليها فى ذاتها على حدة ، أو موازنة بالانجليزية ، أو الروسية مثلا . ولكنها لهجة إذا ووزنت بالفصحى ، أو بالعامية فى العراق أو السودان وغيرها من اللهجات العربية .

وقد نجد فى هذه العاميات العديد من اللهجات المحلية والاجتماعية . وهذه قد تتفرع بدورها إلى لهجات أصغر وهكذا . وكل هذه اللهجات لغات إذا ووزنت بلغات أجنبية ، أو درست فى ذاتها ، ولهجات إذا ووزنت بالعربية ، أو بغيرها من لهجاتها .

وقد نجد لهجتين عربيتين مثلا بينهما من وجوه الاختلاف أكثر مما بينهما من أوجه الاشتراك ، بحيث يتعذر على من يتكلم بإحداهما التفاهم مع من يتكلم بالأخرى . مما يقضى بأن نعدهما لغتين لا لهجتين ، ولكنهما فى الحكم لهجتان نظرا لارتباطهما معا بالعربية الفصحى ، وهنا قد يتدخل إلى جانب العناصر اللغوية إحساس المتكلمين ، وحكمهم على نظامهم اللغوى وهل هو لهجة من لغة أم ؟ أو لغة منفصلة متميزة ؟

والمتكلمون باللهجة جزء من المتكلمين باللغة ، بمعنى أن اللغة تشمل اللهجات التى تفرعت منها ، وقد يتوقف عليهم الحكم على نظام ما بأنه لغة أو لهجة ، حين لا تكون العناصر والخصائص كافية لإثبات ذلك فى وضوح ، ويحدث هذا حين تنحرف لهجة عن اللغة الأم ، أو عن شقيقة لها انحرافا كثيرا ، كما هو واقع بين اللهجات فى الوطن العربى ، ومع ذلك يشعر المتكلمون بهذه اللهجات بأنهم ينتمون إلى الأمة العربية ، وأن نظامهم الذى يتفاهمون به لهجة عربية ، لا لغة قائمة بذاتها .

ومن حيث المكان : نجد أن بيئة اللهجة جزء من بيئة اللغة ، بمعنى أن ما نعده بيئة لغوية للغة ما ؛ يشمل بيئات اللهجات التى تفرعت من هذه اللغة .

والحدود مفتوحة تقريبا بين اللهجات ، ولكنها مغلقة تقريبا بين اللغات ، ومن السهل أن تحدد البيئة التى توجد فيها العربية أو الفرنسية مثلا ، وليس الأمر كذلك لو حاولت أن تحدد المدى الذى تصل إليه لهجة القاهرة مثلا فى مصر ، أو فى الوطن العربى . والحدود المكانية التى تفصل لغة عن لغة واضحة غالبا ، وليست كذلك فى اللهجات .

وقد يحدث أن نجد فى بيئة لغة أو لهجة ما منطقة تعيش عليها لغة أو لهجة أخرى ، وتتكون فى هذه الحال جزيرة لغوية ، فالقرى التى تتكلم الآرامية فى سورية (معلولة ، جبعدين ، بخعة) تمثل جزرا آرامية فى بيئة اللغة العربية ، وكذلك لو أن حيا أو مدينة فى دولة ما ، خصص لتقيم فيه جالية أجنبية تتكلم لغة مغايرة .

وقد دعت صعوبة تحديد المكان بالنسبة للهجات إلى أن ينكر بعض العلماء وجود لهجات فى اللغة الواحدة ، ووجدنا مثلا أحد هؤلاء جاستون باريس - يقول : « لا يوجد أى حد حقيقى يفصل بين فرنسى الشمال ، وفرنسى الجنوب ، فصور التكلم الشعبية عندنا تمتد على أرض الوطن من طرف إلى آخر ، كأنها بساط نضحت ألوانه المتنوعة فى كل نقطة منه بعضها

على بعض ، وأصبحت درجات لا يكاد يتميز بعضها من بعض[1]»

وكذلك «يوهان شمت» Johan Schmidt صاحب نظرية الأمواج «فهو يقرر أن كل ظاهرة لغوية تمتد على سطح القطر امتداد الأمواج، وأن كل موجة فى تقدمها التدريجى غير المحسوس ليس لها حد معين[1]» .

ولكن الجمهرة يثبتون اللهجات، وهذا أمر ملموس ، وأصحاب كل لهجه يشعرون بأنهم يتكلمون بطريقة مميزة عن غيرهم، ويستطيعون معرفة من ينتمى إلى طريقتهم ، واكتشاف أى خروج عنها مهما دق ولا يتوقف وجود اللهجة على معرفة الحدود المكانية التى تصل إليها ، ومعرفة أين تبدأ وأين تنتهى ، لن تقوم على أساس المكان ، بل على وجود تكتل من الخصائص والعناصر مترابطة مجتمعة ، على نحو ما ، لا توجد عليه مرة أخرى ، وإن وجدت بعد ذلك مبعثرة متفرقة ، أو اجتمع منها عنصران أو أكثر ، ولكن لا على النحو الأول ، وهم يشبهون ذلك بخطوط توزيع المواصلات (سيارات . طائرات . سلكية ، لاسلكية) أو توزيع مياه الرى ، ونحو ذلك . فحيث يتجمع أكبر عدد من هذه الخطوط يتكون مركز ولا يمنع هذا أن تتفرق هذه الخطوط بعد ذلك فى أماكن أخرى ، وقد يحدث أن يلتقى منها اثنان أو أكثر فى مكان آخر ، وكذلك حيث تتكون هذه المجموعة من العناصر والخصائص تتكون اللهجة ، وإن توزعت بعد ذلك فى أماكن عديدة .

---

(١) اللغه . فندريس / ٣١٢ ترجمة : الدواخلى ، القصاص

الفصل الثانى

١ — اللغة بين التوحد والانقسام .

٢ — عوامل الاتحاد ونشأة اللغة المشتركة .

٣ — عوامل الانقسام ونشأة اللهجات .

٤ — التطور اللغوى وأثره فى نشأة اللهجات .

٥ — أنواع اللهجات .

١ — اللغة بين التوحد والانقسام :

ثار البحث فى هذه المسألة ، عندما بدأت الدعوة إلى اختراع لغة صناعية موحدة ، يتفاهم بها البشر جميعا ، فى المؤتمرات الدولية ، حيث تجتمع وفود من شعوب مختلفة ، يتكلمون بلغات شتى ، وقد لا يفهم بعضهم عن بعض وقد يكون فيهم من لا يعرف اللغة المختارة لتكون لغة هذه المؤتمرات ، ولم تكن قدرات الترجمة قد وصلت إلى ما هى عليه الآن .

كما أن هناك من ربط بين اختلاف اللغات ، وبين ما يحدث فى العالم من صراعات وحروب ، ورأى أنه لو فهم كل ما يعنيه الآخر لسد باب من من أوسع الأبواب التى تسبب الخلاف بين الأمم والشعوب ، ولضاقت شقة النزاع ، وساد السلام ، وعاشت الإنسانية فى أمن . ولتحقيق ذلك يتعين اختراع لغة جديدة تخلو كلماتها من الشحنات المختلفة المترسبة من أعماق الماضى ، وما تمثله من مفاهيم دينية ، واجتماعية وسياسية ، وتعصب للجنس أو المذهب ونحو ذلك ، مما يجعل الانعكاس لكثير من الكلمات نزاعات وخصومات ، ويتسبب فى إشعال الفتنة وإيقاد الحروب ، ويهدد البشرية دائما ، ويحرمها الأمن والاستقرار . وقد عارض أكثر العلماء هذه

الدعوة؛ لأن سنة اللغات التعدد والانقسام . ولن تفلت هذه اللغة الصناعية من عمل هذه السنة ، فلا تلبث أن تختلف على ألسنة المتكلمين بها ويصيبها ما أصاب اللغات الطبيعية من تعدد وانقسام ، ويذهب ما بذل فى اختراعها من جهد ، وما ألف فيها ، أو كتب بها سدى ، ونعود إلى ما فررنا منه . ورأوا أن ميل اللغات إلى التعدد والانقسام هو الواقع المشاهد ، والمعروف من تاريخها ، فآلاف اللغات التى يتكلم بها ملايين البشر الآن ، كانت قدماء، أقل عددا من ذلك بكثير ، بل لعلها كانت لغة واحدة فى البدء فيما قبل التاريخ .

وفى العصور القريبة تلمس هذا الاتجاه إلى الانقسام والتعدد ، حتى يكاد يشكل قانونا تسير عليه اللغات ، فاللاتينية انقسمت إلى لغات عديدة إيطالية ، فرنسية . إسبانية . برتغالية .. إلخ والانجليزية الآن تكاد تتعدد بتعدد المواطن التى انتقلت اليها فى أمريكا وأفريقيا وآسيا ، والعربية تفرعت إلى لهجات شتى فى أنحاء الوطن العربى ، وهكذا .

وكثير من اللهجات فى اللغات المعاصرة ، إذا أتيحت لها العوامل المناسبة انفردت ، وتحولت إلى لغات ، شأنها فى ذلك شأن اللغات الموجودة الان فقد كانت قبل لهجات من لغات سابقة عليها انفردت عنها ، واكتفت بنفسها وأصبحت لغات .

أما أنصار هذه الدعوة فقد رأوا أن اللغات وإن كانت تتجه إلى الانقسام غالبا إلا أن الأمر لايخلو من الاتجاه إلى الاتحاد فى أحيان كثيرة ، فمن الحق أن كثيرا من اللغات المعروفة الآن كانت لهجات ، وهذا يعنى اتجاها إلى الاتحاد ، فقد سادت ، وتغلبت على غيرها وانضمت إليها لهجات أخرى ، أو ضمتها هى إليها ، قضت عليها أو اندمجت فيها ، وبعد أن كانت هناك لهجات عديدة ، أصبحت توجد لهجة واحدة ، وليس هذا الأمر بالنادر ،

ولكنه كثير الحدوث، فالعربية الفصحى قامت على أشلاء لهجات عديدة، كانت تنتشر فى بلاد العرب، اصطرعت وامتزجت، ونشأ عنها هذه اللغة المشتركة التى وصلتنا موحدة، ولقد قضت على كثير من اللغات، وحلت محلها كالقبطية فى مصر، والبربرية فى المغرب، والآرامية فى الشام، والفارسية فى بعض أنحاء فارس والعراق، وأصبحت لغة واحدة بعد أن كانت هذه اللغات العدة.

وكذلك الأمر بالنسبة للفرنسية، التى كانت فى الأصل لهجة باريس ثم أخذت تنتشر فى الأقاليم المجاورة لها، وتقضى على مايعترضها فى طريق انتشارها من لهجات، لاتينية وغير لاتينية، بل وقضت على لغات أخرى كثيرة. خارج حدود فرنسا السياسية، فى أمريكا، وآسيا، وإفريقية.

وكذا يقال فى الإنجليزية وغيرها من اللغات، التى كان يتكلم بها شعب محدود فى بقعة معينة، فأصبحت الآن لغة مئات الملايين، فى أنحاء متفرقة فى المعمورة، كانت تعيش فيها لغات أخرى.

والعالم الآن يتجه إلى التكتل والتجمع، اقتصاديا وسياسيا، ويتبع هذا توحد لغوى، بنى بحاجة هذه التكتلات فى التفاهم، بل إن هناك من يحلم بأن يصبح البشر وحدة واحدة. يتكلمون لغة واحدة وتسودهم نزعات وميول واحدة، وحينئذ يعودون كما كانوا فى البدء أسرة واحدة، وإن كانت أسرة قوامها آلاف الملايين.

ولا يسعنا إزاء ذلك إلا القول بأن اللغات تتجه إلى التوحد، لا إلى الانقسام كما هو المتبادر.

والحق أن قانون التضاد الذى يحكم ويفسر جل ظواهر الكون والحياة يعمل هنا أيضا، فكما أن الحياة تنطوى على الموت، ولا يتصور النور بدون الظلمة، ولا يخلو الذكر من بعض خصائص الأنثى والحركة والسكون.

والقـــوة والضعف ، والارتفـــاع والانخفاض ، والكثرة والقلة أمور نسبية ، حتى لا يكاد البشر جميعا يقرون بوجود حقيقة مطلقة . كذلك لاتخلو اللغات من الإتجاهين المتضادين ، إلى الاتحاد ، وإلى الانقسام . إن كل لغة تنطوى على كلا الاتجاهين وهما يعملان عملهما فى كل لغة معا أيضا ، وكأنهما صفتان فطريتان وراثيتان للغة ، ينشط أحدهما ، ويخمل الآخر ، وهما فى احتمال النشاط أو الخمول على حد سواء .

ولو كان الاتحاد هو الذى يستقل باللغات ، ما وجدنا هذا التعدد البالغ فى لغات البشر ، ولو كان الانقسام هو المسيطر وحده لوجدنا فى العالم لغات بعدد من فيه من البشر ، ويمكننا أن نوسع الاتحاد إلى أبعد مدى فنتحدث عن لغة إنسانية ، وأن نتوسع فى الانقسام إلى أقصى الحدود ، فنتحدث عن لغة (س) من الناس وبين هذين الحدين الشاسعين توجد مستويات أو حدود متفاوتة من لغة الأسرة ، أو العشيرة ، أو القبيلة ، أو الشعب ، أو الأمة ، أو القرية أو المنطقة أو الاقليم أو الدولة . . وما إلى ذلك .

فهنا نزوع فى اللغات إلى الانقسام والتعدد على ألسنة المتكلمين بها ، ولو ترك هذا بلا قيود ولا حدود افقدت اللغة كثيرا من وظائفها ومهامها فى المجتمع وما حققت التفاهم والاتصال بين الناس ، ومن ثم فهى محكومة فى هذا النزوع الانقسامى بعوامل أخرى ، تفرض عليها التجمع والاتحاد .

ولن يكون الحكم صحيحا إذا قلنا إن اللغات تتجه إلى الاتحاد ، أو تتجه إلى الانقسام مطلقا ، فقد يحدث هذا ، وقد يحدث ذلك ، وطالما توافرت الأسباب والعوامل المهيئة لأحدهما ظهر وتغلب ، وقد لا تكون لنا سيطرة على هذه العوامل ، وقد نفاجأ بظهور عامل أو مجموعة من العوامل لم تكن فى الحسبان ، وتحدد اتجاه لغة ما ، وقد تسبب حادثة كونية ، أو ظهور عامل إقتصادى ، أو دعوة ما : سياسية أو دينية أو اجتماعية ، أو اتجاه معين

فى التعليم ، أو حدوث حرب أو هجرة أو نحو ذلك ، قد تسبب هذه الأمور تغييرا فى مسار اللغة واتجاهها نحو الانعزال والانفصال والانقسام ، أو الاختلاط والتوحد ، ومن ثم فإن التنبؤ بمصير لغة ما ، تعترضه محاذير كثيرة ، وخضوع اللغات فى ذلك للمصادفات والطوارئ أكثر من خضوعها لقانون يحدد الاتجاه الذى تصير إليه .

٣ — عوامل الاتحاد ونشأة اللغة المشتركة :

ومن المهم معرفة العوامل التى تساعد هذا الاتجاه أو ذاك على الظهور والتأثير ، والقاعدة التى تحكم هذه العوامل أن كل ما من شأنه أن يهيء الاختلاط بين الناس ، يربط بينهم ، ويوثق علاقاتهم بعضهم ببعض ، ويزيل ما بينهم من فوارق وفواصل ويجمعهم ويوحد بينهم ، سواء فى بيئة أو كيان سياسى ، أو حرفة ، أو اتجاه عقدى أو مذهبى ، أو ثقافة ، أو طبقة اجتماعية ، أو عصر معين أو نحو ذلك كل هذا يؤدى باللغات أو اللهجات المتعددة إلى الاتحاد .

وكل ما من شأنه أن يفرق بين الناس ، ويفصم الروابط التى تجمعهم من هذه الأمور أيضا ، يؤدى باللغة أو اللهجة الواحدة إلى التعدد والانقسام .

وتتبع اللغات واللهجات قديماً وحديثاً يؤكد هذا ، ويمدنا بكثير من الأمثلة للتطبيق :

فالبيئة الواحدة : تفرض على من يقيمون فيها نمطا موحدا من الاستعمال اللغوى ، وحينما تجتمع فى بيئة واحدة لغات أو لهجات تأخذ فى الاتجاه إلى نمط موحد ، وتتخلى كل لهجة عن بعض خصائصها المميزة ، وينشأ نظام مشترك يتفاهم به الجميع ، ويتضح هذا جليا فى العواصم ، التى تمثل مناطق جذب ، ينزح إليها الكثيرون من مختلف الأصقاع للإقامة وغيرها .

فى القاهرة مثلا كثيرون من مدن مصر وقراها ، وفيها كثيرون أيضاً من غير المصريين ، عربا وغير عرب ، ولكل من هؤلاء لهجات خاصة — وأحيانا لغات — يتحدثون بها فى بيئاتهم الأصلية ، ويلتزمونها إذا عادوا إلى هذه البيئات ، ولو تكلم كل من فى القاهرة بلهجته الأصلية لوجدنا حشدا هائلا من اللهجات ، وربما تعذر التفاهم بين هؤلاء القطان ، ولكنهم جميعا يأخذون فى التخلى عن الكثير من الخصائص المميزة للهجاتهم الأصلية ، ويندمجون فى نمط واحد يسهل لهم التفاهم ، وماقد نجده أحيانا من سمات لهجية خاصة فى نطق بعض الأفراد فمرجعه قرب العهد بالإقامة فى القاهرة ، وبنظامه اللغوى الذى اعتاده وشب عليه ، ولم يتح له الوقت الكافى للتخلص منه ، وقد يرجع إلى الرغبة فى إظهار الانتماء إلى بيئة ، أو وسط ، أو طبقة ، أو مذهب دينى أو سياسى ، أو اتجاه ما ، وعندما يقيم فترة مناسبة تزول هذه السمات تدريجيا ، وهكذا يقال فى سائر العواصم والمدن التى تمثل مراكز تجمع لأصحاب لهجات مختلفة .

وكثيرا ما يحدث أن تتعدد أنماط التعبير من لهجات أو لغات فى فى بيئة واحدة ، وفى هذه الحال نلاحظ أن كلا منها تكاد تتحدد بجزء معين من هذه البيئة تعيش فيها ، أو بفئة أو طبقة خاصة لها كيان متميز تتفاهم بها فيما بينها ، فإذا جاوزت هذه الحدود الضيقة ، إلى البيئة الواسعة ، والكيان الاجتماعى الشامل اختلط بعضها ببعض ، وأخذت الفوارق فى الزوال ، ونشأ نظام موحد يسير عليه الجميع فالأطباء مثلا — فيما يتعلق بمهنتهم — يتحدثون بالإنجليزية بعضهم مع بعض ، ونحن فى قاعات الدرس نجرى الحديث بالفصحى ، ولكل أصحاب حرفة طائفة من المصطلحات والألفاظ الخاصة يديرونها فيما بينهم ، ويتعارفون عليها ، وللذين يمارسون نشاطات سرية أو محظورة أعرافهم الخاصة التى يتفاهمون بها ، فإذا خرج هؤلاء عن المجالات المحددة التى يستعملون فيها أنماطهم الخاصة فى التعبير ، وجدناهم

ينتقلون إلى نظام موحد مشترك لا نلحظ فيه مظاهر التعدد التى نجدها لدى كل طائفة على حدة ، يتفاهم به الطبيب ورجل الدين ، والمهندس ، والقاضى ، والبناء ، والصياد ، والزارع والخارج على القانون ، وغيرهم بعضهم مع بعض .

وقد يحدث أن تنشأ بيئة واحدة لفترة مؤقتة ، كالذى يحدث فى الأسواق الكبيرة أو المناسبات الدينية أو الوطنية أوغيرها ، حيث تجتمع وتختلط حشود من أماكن وطبقات ومستويات متعددة ، لمدة قد تقتصر وقد تطول وحينئذ نجد ميلا إلى التخلص من الخصائص شديدة التمييز ، التى تفصل لهجة عن لهجة ، واتجاها إلى ضرب متجانس متوائم من عناصر التعبير يجمع بين هؤلاء جميعا ، ولو قدر لهذا الضرب أن يتأصل ويستمر ويشيع لنشأت لهجة أو لغة مشتركة .

وما رأيناه فى اتجاه لهجات الطوائف والفئات المختلفة فى بيئة واحدة إلى نظام موحد يتفاهم به الجميع ، نراه كذلك فيما قد يكون فى بعض أجزاء هذه البيئة من أنظمة ، أو لهجات خاصة ، فقد نلحظ أن أبناء حى معين ، أو منطقة محددة يستخدمون فى أحاديثهم بعضهم مع بعض طريقة خاصة ، ويتداولون ألفاظا مقصورة عليهم ولكنهم إذا جاوزوا حيهم أو منطقتهم عدلوا عن لهجتهم الخاصة إلى النظام العام المشترك ، الذى يضمهم ، وأبناء الأحياء والجهات الأخرى .

وفى كل هذه الحالات تعمل البيئة عملها فى الأخذ باللغات إلى الاتحاد .

* وعندما تنشأ وحدة سياسية بين مناطق كانت منعزلة ومنفصلة سياسيا تفتح الحدود بينها ، ويختلط بعضها ببعض ، وتأخذ لغاتها أو لهجاتها فى التفاعل والامتزاج ، ولا تلبث أن تعمها لغة أو لهجة واحدة ، ويختلف المدى الزمانى والمكانى الذى يتم فيه ذلك ، باختلاف عوامل كثيرة ، من

أهمها درجة الصلة بين اللهجتين أو اللغتين ، أو اللهجات ، و المستوى الحضارى الذى تمثله كل ، وأسباب القوة المتاحة لكل ، والعلاقات بين أصحاب هذه اللهجات عرقية أو دينية أو اقتصادية أو ثقافية أو غيرها ، و مداها قربا أو بعدا .

واللغة أو اللهجة التى تكتسب لها الغلبة ، ويقدر لها الفوز تصبح اللغة المشتركة بين الجميع ، بها يتفاهمون ، بعد أن كانت قاصرة على مكان معين ، وجماعة محدودة .

وهذا ما حدث فى لغات كثيرة كالألمانية والإغريقية وغيرهما ، فحينما كانت ألمانيا مقسمة إلى ولايات ، أو مقاطعات ، أو دويلات منفصلة ، لم تنشأ فيها لغة مشتركة موحدة ، وكانت الوحدة السياسية التى شملتها من أهم الأسباب التى ساعدت على ظهور الألمانية لغة مشتركة لكل أجزاء ألمانيا .

وقيام الدولة العربية الاسلامية الواحدة فى عهد الخلفاء الراشدين ، وبنى أمية والعباسيين ، ساعد على أن تكون العربية اللغة التى تتفاهم بها شعوب كثيرة كانت فى الأصل مختلفة اللغات واللهجات ، وكذلك الأمر فى كثير من اللغات القديمة والحديثة التى كان المتكلمون بها يمثلون وحدات سياسية متعددة ثم توحدت ، وقد تكون اللغة المشتركة من أسباب قيام الوحدة السياسية فى بعض الأحيان . إلا أنه فى أحيان كثيرة تكون الوحدة السياسية من أهم العوامل التى تؤدى إلى قيام لغة موحدة ، يتفاهم بها أبناء هذه الوحدة بعضهم مع بعض وتكون وسيلة الاتصال بين الجهاز الحكومى والعاملين فيه ، و بين جمهور الشعب ، ولو تتبعنا تاريخ اللغات الغربية المعروفة الآن ، من إنجليزية وفرنسية وإيطالية وغيرها ، تلك التى كانت فى البدء لهجات ، مدن أو أقاليم صغيرة ، فلن نعدم أثر الوحدة السياسية فى انتشار هذه اللهجات وصيرورتها لغة مشتركة .

بل إن المد الاستعمارى الواسع ، وما صاحبه من قيام كيانات سياسية جديدة ارتبطت بالدولة المستعمرة كان من أقوى العوامل فى انتشار كثير من اللغات الأوربية خارج بيئاتها الأصلية ، وحدودها السياسية الأولى ، فأصبحت لغات التخاطب لكثير من شعوب العالم القديم والجديد ؛ حتى بعد انحسار هـــذا المد ، ووجدنا تكتلات تضم الشعوب الإفريقية الناطقة بالفرنسية ، أو بالإنجليزية وفى آسيا واستراليا وإفريقية وأمريكا تستعمل الإنجليزية لغة تخاطب فى أنحاء كثيرة من هذه القارات ، إلى جانب استخدامها لغة علمية فى كثير من أنحاء العالم خاصة تلك التى كان لبريطانيا فيها نفوذ سياسى . وإلى عهد قريب كانت الفرنسية تحتل لسان الشعب العربى الجزائرى ، يوم كان ينظر إلى الجزائر على أنها مقاطعة فرنسية .

ه وبما يتصل بالبيئة الواحدة ، والكيان السياسى الموحد أن البقاع التى تخلو من الحواجز التى تفصل بعضها عن بعض ، من بحار أو جبال أو غابات ونحوها . وكذلك تلك التى تربطها وسائل انتقال سهلة ، هذه تصبح فى حكم البيئة الواحدة . فيختلط سكانها ، ومن ثم لهجاتها ، وتقل الفوارق بينها شيئا فشيئا ، ولا تلبث أن يزول ما فيها من خصائص مميزة ، وتنشأ لهجة موحدة تبعاً لذلك ، تسود فيها جميعا .

ولو وازنا بين المدى الذى كانت تصل إليه لهجة القاهرة قبل انتشار وسائل النقل الحديثة ، وبينه بعد ذلك يمكننا أن نلمس بوضوح أثر هذا العامل فى قيام وانتشار اللهجة المشتركة .

• وكثرة وسائل الاتصال اللغوى تقرب بين ذوى اللهجات المختلفة ، وتؤدى إلى ظهور لهجة أو لغة موحدة ، والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والصحف من أقوى العوامل فى ذلك ، وقد أثر شيوع أدوات الاتصال هذه ، وانتشارها فى كل بيت فى المدينة أو القرية أو البادية أو

البحار والأنهار ، ومحاصرتها للناس تصب اللغة فى آذانهم صبا ، صباح مساء ، وارتباط الجمهور بها ، لما تقدمه من خدمات أو ترفيه . أثر كل هذا تأثيرات خطيرة فى التوزيع اللغوى الذى كان سائدا قبل ذلك ، وأوشكت لهجات العواصم التى بثت بها معظم هذه الادوات فى كثير من الأحيان ، أن تصبح مألوفة فى كل مكان تصل إليه ، ويستمع إليها ولعلها بذلك تمهد سبيلا للسيادة والغلبة ، ولتكون اللهجة الموحدة المشتركة .

* وانتشار الثقافة والتعليم مما يساعد أيضا على ظهور لغة أو لهجة موحدة ، وعلى القضاء على اللهجات الخاصة ، وتعمل المدارس والمعاهد والجامعات والمكتبات وانتشار الكتاب ، وسهولة تداوله واقتنائه ، وانتعاش الأدب من مقروء ومسموع ، وحيويته وقربه إلى أذواق الجماهير ، وعقولهم وقلوبهم تعمل كل هذه عملها فى نشأة اللغة الموحدة المشتركة .

* وكثيرا ما تجمع حرفة ما ، أو عمل أو تخصص ، أو نشاط ما بين من يمارسونه فى نظام لغوى موحد ، وقد كانت اللاتينية فترة طويلة لغة العلماء على اختلاف مواطنهم ولغاتهم الأصلية ، والآن تحل الإنجليزية محلها تقريبا ، وتحتل الفرنسية المقام الأول فى لغة الديبلوماسية ، ويمكننا أن نجد للأطباء والجنود والبحارة أو الحدادين ، وعمال المناجم ، وأعضاء ناد معين ، وغيرهم ألفاظا ومصطلحات خاصة توحد بينهم على اختلاف بيئاتهم ولهجاتهم الأصليـة :

* ـ وهكذا يقال فى الانتماء لعقيدة أو مذهب معين ، فالإسلام مثلا كان من أهم العوامل التى مكنت للعربية ، وساعدتها على الانتشار فى بيئات جديدة وعلى أن تصبح لغة الكتابة والتخاطب لكثير من الشعوب التى دخلت فيه ، وقضت على ما كان لهذه الشعوب من لغات أو لهجات ، وحلت محلها ، على ما كان من تفوق بعضها على العرب فى مجال العلم والحضارة .

وكذلك تفعل كل - دعوة أيا كان مصدرها أو اتجاهها - تهدف إلى الانتشار والشيوع ، إذ تبذل كل جهودها للتوحيد بين أنصارها والمنضمين إليها ، والمؤمنين بها فى لغة أو لهجة واحدة ، ليسهل الاتصال والتفاهم ، وتقوى الأواصر والروابط بينهم .

وهكذا كل مامن شأنه أن يساعد على اختلاط الناس ، وامتزاجهم بعضهم ببعض وتوثيق الارتباط والاندماج فيهم ، من الاجتماع فى المواسم والمحافل والأسواق والمعارض والمعسكرات ونحوها .

هذه العوامل ونحوها تعمل جميعا على الاتجاه باللهجات نحو التوحد ، ومن ثم نشأة اللغة المشتركة ، وليس من المتيسر أن نرجع مايحدث من اتحاد إلى عامل أو اثنين أو أكثر على التعيين منها ، فهى جميعها تتعاون على ذلك متشابكة مختلطة إلى حد من التعقيد يتعذر معه اكتشاف العوامل التى أثرت فعلا فى قيام اللغة المشتركة .

وليس من المتوقع أن يكون هناك اتحاد تام بين اللهجات جميعاً فى يوم ما ، ضرورة أن هناك عوامل مضادة تساعد على الانقسام والتعدد ، حتى إن أخذنا بوجهة أولئك المتفائلين الذين يرون أنه من الممكن بل بل والمتوقع أن تعم البشرية لغة واحدة طبيعية كانت أو صناعية ، نتيجة للتقدم الهائل الذى أحرز فى وسائل الاتصال المختلفة سمعية وبصرية وغيرها ، مما ألغى الحواجز بين أجزاء العالم ، وطوى المسافات الشاسعة التى باعدت بين نواحيه قبلا حتى لقد أوشك أن يغدو كدولة واحدة بل كمدينة واحدة ، وعندهم أن التكتلات السياسية والاقتصادية التى تتجه إليها الشعوب ذات الأصول أو اللغات أو الأوطان أو الرابط أو الديانات أو المنافع المشتركة ، تقرب لنا صورة العالم الموحد فى المستقبل . وأنها خطوة على الطريق .

حتى إن أخذنا بوجهة هؤلاء فليس من المتوقع القضاء على اللهجات تماما، وقيام نظام لغوى لاتفترق فيه ألسنة البشر، وما حدث للغات قديما وحديثا في اللاتينية والعربية والإنجليزية والفرنسية وغيرها، بل وللغات الصناعية التى كان الهدف الأول منها أن تكون لغة عالمية كالفولابيك، والاسبرانتو، والإيدو.. وغيرها على تحمس بناتها ومتعلميها، وقلة عددهم، وقصر المدة التى مرت عليها، واستخدامها فى مجالات محددة، ماحدث فى هذه جميعا من تعدد وتشعب، يجعلنا لانتوقع القضاء على اللهجات بل واللغات. وكل مايمكن أن تصل المنى إليه أن تنشأ لغة أو نظام لغوى يتفاهم به البشر، إلى جانب الكثير من الأنظمة المتنوعة، التى يتفاهم بها أبناء كل إقليم، أو أصحاب عقيدة أو حرفة واحدة[1].

---

(١) وانظر فى عوامل التوحد وقيام اللغة المشتركة: اللغة: فندريس. تعريب: الدواخلى والقصاص: ٣٢٦ - ٣٤٧ ط - لجنة البيان العربى ١٩٥٠ - اللغة بين الفرد والمجتمع: أوتو جسبرسن. ترجمة بتصرف. د/ عبد الرحمن محمد أيوب ٦٨ - ٨٤، ط - لجنة البيان - اللغة والمجتمع د/ محمود السعران: ١٧٠ - ١٧٦ ط ٢ - دار المعارف الإسكندرية ١٩٦٣.

٢ - عوامل الانقسام ونشأة اللهجات :

قد تقرأ فى بعض المظان أن اختلاف اللغات يرجع إلى حادث وقع فى أرض أو مدينة بابل ، حيث اجتمع البشر هنـاك ، وبلبل الله ألسنتهم ، فاختلفت لغاتهم ، ففى التوراة : « وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ، ولغة واحدة ، وحدث فى ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار ، وسكنوا هناك ، وقال بعضهم لبعض : هلم نصنع لبنا ، ونشويه شيا ، فكان لهم اللبن مكان الحجر ، وكان لهم الحمر مكان الطين ، وقالوا : هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه للسماء ، ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض ، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب : هو ذا شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم ما ينوون أن يعملوه ، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ، فكفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعى اسمها بابل ، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض[1] » .

« وقد اتفق كل الباحثين المحدثين فى أوربا المسيحية ، وفى الأوساط اليهودية المستنيرة على اعتبار هذه القصة أسطورة شعبية ، لا تحكى واقعا تاريخيا ، بقدر ما تلتمس تعليلا فنيا لاختلاف الألسنة واللغات فالسير جيمس جورج فريزر يفرد لها فصلا كاملا فى كتابه الكبير « الفلكلور فى العهد القديم » ، فيتتبع بالنقد والتحليل تطور هذه الأسطورة منذ الوثنيات القديمة ، ويقول : إن العلاقة اللغوية بين بابل ، وبين بلبلة الألسنة ليس إلا

---

(١) سفر التكوين إصحاح ١١ آية ١ - ١٠ . وانظر : المزهر ١/٢١ ط صبيح .

من الخيال الشعبى ، إذ إن الثابت علميا أن كلمة بابل أصلها فى اللغة البابلية نفسها « باب - إلو » أو « باب - إل » ومعناها : باب الله ، أو باب الآلهة ، لأن بل كانت مدينة مقدسة[1] » .

ولا شك أن هذه الأسطورة دخلت فى التراث الإسلامى فيما دخل من إسرائيليات .

وعلماء اللغة يذكرون أسبابا موضوعية يترتب عليها اختلاف اللغات وانقسام اللغة الواحدة إلى عدة لهجات .

وإذا كان كل ما من شأنه أن يزيد الترابط ، ويوثق الصلات بين الناس فى بيئة أو حرفة أو عصر وغير ذلك يقرب بين اللهجات ويوحدها ، فإن كل ما من شأنه أن يعزل بعضهم عن بعض ، ويباعد بينهم يؤدى إلى انقسام لغتهم وتفرعها إلى لهجات مختلفة ، فإذا طال الزمن على هذا الاختلاف ، وتعمقت ظواهر الانفصال ومظاهره ، وتركت كل لهجة وشأنها تنمو منفردة عن غيرها ، تبعا لبيئتها وأحوال المتكلمين بها ، فإن الخلاف بين هذه اللهجات التى انحدرت من لغة واحدة يتأصل ، ويزداد شيئاً فشيئاً ، وتتسع الهوة بين كل لهجة وشقيقاتها ، حتى يأتى يوم تصبح فيه هذه اللهجات لغات قد تنقسم بدورها إلى لهجات وهكذا .

ومن أهم العوامل التى تهيىء لانقسام اللغة ونشأة اللهجات : -

١ - انقسام المتكلمين بها إلى جماعات ، تنفرد كل منها ببيئة أو نشاط ما لأمر من الأمور ، فإذا كان شعب واحد يقيم جميعا فى مكان واحد ، ويمارس ضربا واحدا من النشاط ، كالزراعة . أو الرعى أو الصيد ونحو

---

(١) اللسان والإنسان د / حسن ظاظا ٤٧/٤٨ الإسكندرية سنة ١٩٧١ وانظر ص ٥٣ وحاشيتها .

ذلك فإن لغته تظل واحدة مترابطة ، أما إذا توزع وانتشر فى بيئات جديدة لأمر ما ، كزيادة عدده ، وضيق وسائل الحياة فى البيئة الأولى ، أو لأن عدوا طردهم من ديارهم ونحو ذلك ، فإن الرابطة التى كانت بينهم تضعف ، وتقطع الصلات ، وينفصل بعضهم عن بعض ، وتحدث تطورات فى لغة كل جماعة ، تختلف عن التطورات التى تحدث عند الجماعات الأخرى فى عناصر اللغة المختلفة : الكلمات ومعانيها ، ثم الأصوات ثم القواعد وبمرور الزمن تزداد شيئا فشيئا ، حتى تنشأ لهجة جديدة لكل جماعة ، ثم تصبح هذه اللهجات لغات . ويؤدى إلى هذا أمور :

(ا) اختلاف البيئات التى يحلونها ، فالبيئة الصحراوية تختلف عن الزراعية والممطرة تختلف عن الجافة ، والباردة والحارة والمعتدلة ، والساحلية وغيرها ، والتى تشرق شمسها والتى يغشيها الغمام ، كل هذه يختلف بعضها عن بعض ، وفى كل من هذه من الظواهر الطبيعية ، ومشاهد الحياة من جبال وبحار وأنهار وغابات وحيوان ونبات وغير ذلك مايختلف عما فى الأخريات وتحتاج كل بيئة إلى ألفاظ تعبر عما فيها ، وهذه تختلف عما تحتاج إليه تلك وهذا واضح بين فى مختلف اللهجات واللغات ، فهى غالبا مايظهر كل منها فى بيئة معينة ، وينحصر فى مكان محدد .

(ب) اختلاف وجوه النشاط الإنسانى ، ومجالات الحياة وأنماطها المختلفة وكذلك ما يسود فى جماعة من عادات وتقاليد ، وما يربطها من علاقات ، ونظام الحكم ، والدين ، والمستوى الحضارى ، وما إلى ذلك ، كل هذا يختلف لدى جماعة عما هو عليه لدى الأخرى ، ويتبع هذا اختلاف فى الأداة المعبرة عنه ، وبتتابع الاختلاف والزمن تتكون اللهجات ، ثم اللغات .

وسواء فى هذا تعدد البيئات ، أم كانت بيئة واحدة متسعة تعددت فيها أوجه النشاط وميادين العمل .

٢ — الصراع بين اللهجات المختلفة ، فى بيئة واحدة ، أو بيئتين

متجاورتين إذ يترتب عليه امتزاج وتفاعل بينها ، وتتبادل كل منها التأثر والتأثير مع غيرها مما تختلط به ، وتتفاوت نتائج هذا تبعا لقوة اللغة أو اللهجة ، ومستواها الثقافى والحضارى ، وعدد المتكلمين بها ، ومركزهم السياسى ، والعلاقة التى تربط بين اللغتين أو اللهجتين المشتبكتين فى الصراع ، وما إلى ذلك ، إلا أن النتيجة الحتمية اختلاف فى اللهجات المتصارعة ، يتبعه التعدد فى الواحدة ، وتوزعها إلى لهجات .

وبالانقسام بين الجماعة الواحدة فى المكان ، أو النشاط ، وخط الحياة ، وبالصراع بين اللهجات واللغات يمكننا أن نفسر ما حدث من تفرع اللغات المعاصرة والقديمة ، وغالبا ما يكون هذا العاملان متلازمين .

فالفصائل أو الشعب اللغوية التى قسمت إليها اللغات ، من سامية وحامية وآريه ، كانت فى البدء لغة واحدة ، ولكنها عندما انتشرت فى مساحات عديدة اختلفت وتنوعت ، ونشأت عنها أولا لهجات ، ثم أصبحت لغات ، فالجماعة السامية الأولى كانت تقيم فى مكان واحد ، وكانت لغتها واحدة آنذاك ، ولكن حينما انفصلت عنها مجموعة من القبائل ، وتوجهت إلى أرض الرافدين — إذا لم نقل إن هذه المنطقة موطن الساميين الأول — اختلفت البيئة ، وصاحب ذلك اختلاط لغتهم بلغة السومريين الذين كانوا يقطنون أرض العراق ، ودخلت اللغتان فى صراع طويل باعد بين البابلية الآشورية ، وبين السامية التى هى الأصل من ناحية ، وبينها وبين غيرها من الساميات من ناحية أخرى ، وكذا الشأن فى الكنعانية والآرامية والحبشية وغيرها .

واللغة العربية انقسمت إلى لهجات شتى تبعا لانتشارها فى بيئات عديدة ومناطق شاسعة فى الوطن العربى ، ولاختلاف اللغات التى اشتبكت معها فى هذه المناطق ، من فارسية وكردية وسامية فى العراق ، وآرامية

وسريانية وعبرية فى سورية وفلسطين ، وقبطية فى مصر ، وبربرية فى المغرب ، وما إلى ذلك ، وانقسمت العربية فى كل وطن من هذه الأوطان ، تبعا لاختلاف بيئاته وأنشطة السكان فيه .

واللاتينية انقسمت إلى عدة لهجات فى البدء : فرنسية ، وإيطالية ، وإسبانية ، وبرتغالية وغيرها ، وهذه أصبحت لغات .

والإنجليزية حينما انتقلت إلى مواطن جديدة فى أمريكا واستراليا وإفريقية وآسيا ، واختلطت بلغات مختلفة فى هذه المواطن أخذت تبتعد عن الأصل ، وكذلك الفرنسية ، والألمانية ، والأسبانية وغيرها ، حين انتشرت خارج حدودها السياسية ، أخذت تنمو وتتطور فى كل بيئة بطريقة مغايرة لما هى عليه فى البيئات الأخرى ، مما ترتب عليه نشأة لهجات عديدة فى هذه اللغات ، وتستطيع أن تجد وراء ذلك كله اختلاف البيئات والصراع بين هذه اللغات واللغات الأصلية للشعوب التى استعمرتها ولعلك تدرك بسهولة فيما يحيط بك لهجات عديدة تختلف من مكان إلى مكان كما أظنك تلمس لأصحاب المهن والحرف المختلفة أعرافا ومصطلحات ورموزا خاصة بهم لا يعرفها غيرهم .

وإليك هذه الأمثلة - إذا شئت - من كتب النبى عليه السلام إلى الوفود ومخاطباتهم معه :

١ - من كتابه إلى همدان : إن لكم فراعها ووهاطها ، وعزازها ، تأكلون علافها ، وترعون عفاءها ، لنا من دفئهم وصرامهم ماسلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب ، والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى ، وعليهم فيها الصالغ والقارح » .

ومن كلام طهفة النهدى فى الوفود « يارسول الله : أتيناك من غورى تهامة بأكوار الميس ، ترتمى بنا العيس ، نستحلب الصبير ، ونستجلب الخبير ونستخيل الجهام ، من أرض غائلة المنطى ، غليظة الموطا . قد يبس

المدهن، وجف الجعثن وسقط، الأملوج، ومات العسلوج، وهلك الهدى؛ ومات الودى، برئنا إليك يارسول الله من الوثن، والعنن، وما يحدث الزمن، لنا دعوة السلام، وشريعة الإسلام، ماطما البحر، وقام تعار، لنا نعم همل أغفال، ما تبض ببلال، ووقير كثير الرسل، قليل الرسل، أصابتها سنة حمراء، ليس لها علل ولا نهل.

فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم بارك لهم فى محضها، ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر، وافجر له الثمر، وبارك له فى المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلما، ومن آتى الزكاة كان محسنا، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا، لكم يا بنى نهد ودائع الشرك، ووضائع الملك، لا تلطط فى الزكاة، ولا تلحد فى الحياة، ولا تتثاقل عن الصلاة».

وكتب لهم: «فى الوظيفة الفريضة، ولكم الفارض والفريش، وذو العنان الركوب والفلو الضبيس، لايمنع سرحكم، ولا يعضد طلحكم، ولا يحبس دركم، مالم تضمروا الرماق، ولا تأكلوا الرباق، من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة، ومن أبى فعليه الربوة».

ومن كتابه لوائل بن حجر:

«إلى الأقيال العباهلة، والأرواع المشابيب» وفيه «فى التيعة شاة لامقورة الألياط، ولاضناك، وأنطوا الثبجة، وفى السيوب الخمس، ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة، واستوفضوه عاما، ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم، ولاتوصيم فى الدين، ولاغمة فى فرائض الله تعالى، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفل على الأقيال».

(١) انظر هذه وغيرها فى المواهب الفتحية ٤٣/١ - ٥٣، والعقد الفريد ١٠٩/١ ومابعدها ط الأولى. الأزهرية المصرية سنة ١٣٢١ هـ.

وانظر إلى أثر الحرفة فى اللغة فى تلك الصور التى يعرضها الجاحظ لدى لدى مجموعة من أصحاب الحرف سألهم عن وصف حرب .

فقال صاحب الإصطبل : « لقيناهم فى مقدار صحن الإصطبل ، فما كان بمقدار ما يحس الرجل دابته حتى تركناهم فى أضيق من مرغة ، وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سرجين ، فلو طرحت روثة ما سقطت إلا على ذنب دابة » .

وقال الخباز : « لقيناهم فى مقدار بيت التنور ، فما كان بقدر ما يخبز الرجل خمسة أرغفة حتى تركناهم فى أضيق من حجر تنور ، فلو سقطت جمرة ما وقعت إلا فى جفنة خباز » .

وقال الخياط : « لقيناهم فى مقدار سوق الخلقان ، فما كان بقدر ما يخيط الرجل درزا حتى قتلناهم ، وتركناهم فى أضيق من جربان ، فلو طرحت إبرة ما سقطت إلا على رأس رجل » .

« وعمل الخباز أبياتا فى الغزل فكانت :

قد عجن الهجر دقيق الهوى ... فى جفنة من خشب الصد
واختمر البين فنار الهوى ... تذكى بسرجين من البعد
وأقبل الهجر بمحراكه ... يفحص عن أرغفة الود
جرادق الموعـــد مسمومة ... مثرودة فى قصعة الجهد(١)

(وانظر مثلا صفة البلاغة عند كل من : الجوهرى ، العطار ، الصائغ .

(١) انظر : صناعات القواد فى رسائل الجاحظ ، الجزء الأول : تحقيق . عبد السلام محمد هارون ، وفيها أوصاف وأشعار غزلية لكل من الطبيب ، الزراع ، المؤدب ، صاحب الحمام ، الكناس ، صاحب الشراب ، الطباخ ، الفراش .

الصيرفى . الحداد . النجار . النجاد . . وغيرهم فى الجزء الأول من زهر الآداب للحصرى) .

ومن أمثال العامة فى نجد مثلا : إلى حضر ألمـا بطل العفور ، اللى بك برفيقك ، أوط وتثيقل، تبينك ياعوفة وموبهك البارد، الجمل كروى والمحجان من الشجرة .

ومن أمثال تطوان : « لباب للى كيدخل من لرياح شد ترتاح ، باش تعرف لـكذاب وصل حتى نباب دار ، للى كيتكل عل مريقت جار يبات بلاعشا . بو فساس ماش نحيط كيقول لعقل بنت لجوهر فلخيط .

وإذا رجعت إلى كتاب النهـاية فى التعريض والـكناية للثعالبى (أبى منصور عبد الملك ت ٤٣٠ هـ) يمـكنك أن تلمس أيضا تأثر التعبير الـكنائى أو المجازى بالمجتمع والبيئة ، ومن ذلك مثلا أن العرب يـكنون عن المرأة بالنعجة والشاة والقلوص . والسرحة والحرث والفراش، والعتبة والقارورة والقوصرة ، والنعل والغل والقيد ، والظله والجارة ، والمصريون الآن يكنون عنها بالبيت والأولاد والجماعة وأهل المنزل ، وقد عقد السيوطى فى المزهر بابا فى معرفة : « الآباء والأمهات ، والأبناء والنبات ، والإخوة والأخوات ، والأذواء والذوات » (ج ١ النوع ٣٦) ومن الاستعمالات التى ذكرها لـكلمة « ابن » :

ابن جمير ـ الليل المظلم ، آخر يوم فى الشهر ، ابن نمير : الليل المقمر ، ابناسمير : الليل والنهار، ابن قترة ، حية دقيقة ، ابن ذكاء : الصبح ، ابن جلا: الرجل المنـكشف الأمر ، البارز الذى ليس به خفاء ، وأصله الصبح، ابن برة ، جابر بن حبة : الخبز ، ابن أقوال : جيد القول ، ابن ليل : صاحب سرى قوى عليه ، ابن الأرض : الذئب الغراب ، ابن جفنة : العنب، ابن هرمة : آخر ولد الرجل .

والمصريون يقولون : ابن فن . ابن فتلة ، ابن سبعة ، ابن سوق . ابن غرام . ابن كيف . ابن بلد ، ابن ناس . ابن حظ ، ابن بوصة ، ابن كباية ابن نكتة (١) وفى كل ذلك نلحظ أثر البيئة ، والأحوال الاجتماعية وغيرها فى استعمال الكلام .

٤ - التطور اللغوى وأثره فى نشأة اللهجات :

التطور بمدلوله العام الذى يعنى مطلق التغير قانون عام ، يخضع له كل ما فى الوجود من ظواهر ومظاهر مادية واجتماعية وغيرها ، لما أنه حادث ، واللغة لا تنشز على هذا القانون ، وهى بكل عناصرها عرضة له يعمل فيها عمله ، والذين بحثوا التطور فى اللغات أثمرت جهودهم فى دراسة تطور الأصوات أكثر من سائر العناصر اللغوية من بنية وجملة ودلالة . وهم قد يتفقون على حدوث التطور ولكنهم يختلفون فى تعليله والكشف عن أسبابه ، فهناك من تأثروا بالعلوم الطبيعية ومناهجها ، وهناك آخرون تأثروا بعلم الاجتماع أو بالدراسات النفسية وغيرها ، وقد ذكروا لهذا التطور خواص وعوامل فمن خواصه (٢) :

١ - أنه يسير ببطء وتدرج ، فالمتكلمون لا يشعرون به وقت حدوثه ، ولكنه يظهر حين نوازن بين اللغة فى فترتين متباعدتين ، وأحيانا يحدث التطور فى القواعد دون تدرج .

٢ - أنه يحدث تلقائياً بعيداً عن التواضع والاتفاق ، ولو حدث أن تواضعت مجموعة أو هيئة ما على إدخال تجديد فى اللغة فإنها لا تستطيع أن

---

(١) انظر . قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية : أحمد أمين .

(٢) الحديث عن الخواص والعوامل مستقى من علم اللغة د/ على عبد الواحد وافى ، وانظر : التطور اللغوى د/ عبد الرحمن أيوب .

تفرضه فى الاستعمال ، أو تجعله مقبولا يكتب له الشيوع والذيوع ، وكذا لو قام به فرد ما ، ولا سيطرة لصاحب التجديد عليه بعد أن يتداول فى الاستعمال ، فإذا بدأ فرديا فإن الاعتراف به فى النظام اللغوى ، ومايتبع ذلك لادخل لأحد فيه .

٣ - أنه جبرى الظواهر ، فلا سبيل لفرد أو هيئة إلى الوقوف بلغة ماعلى حال واحدة ، ومهما بذل من جهود للاحتفاظ باللغة فى صور ما . فإن هذه الجهود تبوء بالفشل ، وتسير اللغة فى طريقها محطمة كل مايوضع لها من قيود وضوابط .

٤ - أنه فى غالب الأحيان مقيد بالزمان والمكان ، فليس هناك تطور ما فى صوت أو دلالة أو قاعدة يحدث بصورة واحدة فى كل اللغات ، أو فى لغة واحدة فى كل عهودها .

٥ - أنه حينما يحدث فى بيئة مافى وقت معين فإن أثره يظهر عند جميع أفراد هذه البيئة فى هذا الوقت ، فالتطور الذى يحدث فى صوت مايشمل كل الكلمات التى يدخل هذا الصوت فى تركيبها ، وكذلك إذا حدث فى قاعدة أوغيرها . وليس بلازم أن يتجه إلى الكمال ، أو التيسير والتسهيل ولا إلى الاقتصار على العناصر الفعالة المؤثرة ، والتخلص مما لاتدعو إليه الحاجة.

ومن عوامله فيما يتعلق بالأصوات :

١ - التطور الطبيعى المطرد لأعضاء النطق ، سواء كان ذلك فى بنية هذه الأعضاء وتكوينها أو فى استعدادها لنطق أصوات دون أخرى ، أثرا للعادات الكلامية .

٢ - اختلافها (أعضاء النطق) باختلاف الشعوب فى التركيب أو الاستعداد فيلاحظ أن هناك شعوبا لاتستطيع النطق بأصوات معينة ، بينما هى مستعملة شائعة لدى شعوب أخرى .

٣ - الأخطاء السمعية، وما يعقبها من سقوط بعض الأصوات الضعيفة التى لا تتضح فى السمع .

٤ - تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض ، وما يحدثه التجاور بين الحروف والأصوات من تأثير فى مخارجها أو صفاتها ، ولنذكر مثلا أن كل حالات الإبدال الواجب تقريبا مشروطة بموقع معين ، وبمجاورة حرف أو حركة محددين .

٥ - موقع الصوت فى الكلمة قد يجعله أكثر عرضة للتطور ، وأكثر ما يلاحظ ذلك فى الأصوات الواقعة فى أواخر الكلمات .

٦ - تناوب الأصوات وحلول بعضها محل بعض نتيجة للاتحاد أو التقارب فى المخرج أو الصفات سواء كانت صامتة أو صائتة .

٧ - الأحوال النفسية والاجتماعية والجغرافية قد يكون لها أثر فى تطور الأصوات .

٨ - وكذلك حركات التجديد فى اللغة ، والعوامل الأدبية من انتشار التعليم ووسائل الإعلام والتثقيف المختلفة .

وتشترك القواعد والأساليب مع الأصوات فى معظم هذه العوامل وقد ذكر د / إبراهيم أنيس هذه العوامل لتطور الأصوات :

١ - اختلاف أعضاء النطق .　　٢ - البيئة الجغرافية .

٣ - الحالة النفسية .　　٤ - نظرية السهولة .　　٥ - نظرية الشيوع .

٦ - مجاورة الأصوات .　　٧ - انتقال النبر[1] .

وقد تختلف الآراء فى قيمة هذه العوامل أو بعضها فى التطور الصوتى .

---

(١) الأصوات اللغوية : ١٨٣/١٦٢ ط - ٢ لجنة البيان العربى سنة ١٥٩٠

ومن العوامل التى تؤدى إلى تطور الدلاله .

١ - كثرة استخدام الكلمة . ٢ - مبلغ وضوح معناها .

٣ - تغير أصواتها أو ثباتها . ٤ - سهولة القواعد وصعوبتها .

٥ - أثر انتقال اللغة من جيل إلى جيل . ٦ - أثر انتقال الكلمة من لغة إلى لغة أخرى . ٧ - تغير طبيعة المدلول أو وظيفته ومايتصل به.

٨ - أثر الوسط الذى تستخدم فيه الكلمة[1] . ولا مجال هنا لتفصيل الحديث عن هذه العوامل .

والذى يهمنا من ذلك فى دراسة اللهجات أن نتنبه إلى هذه العوامل وغيرها ونحن ندرس ظاهرة ما فى لهجة من اللهجات ، نناقشها ، ونفحص عن عللها ، ونرجعها إلى أسبابها ، ونقف على أسرارها ، فعلينا أن نفترض لكل ظاهرة سببا أدى إليها ، وعلينا أن نكشف عن هذا السبب ، ولنهتد فى الدرس والكشف بهذه العوامل ، فقد نجدها أو بعضها ، أو نجد أمورا أخرى غيرها تؤدى إلى اختلاف الظواهر اللغوية وتنوعها . وعلينا أن نفرق على ضوئها بين صورتين أو أكثر وجدتا فى وقت واحد عند جماعتين لغويتين أو أكثر ، وعندئذ نعدها لهجات ، وبين مايوجد من ذلك عند جماعة واحدة فى عهدين مختلفين ، فهو تطور وتجدد للغة الأولى ، ووجود لها فى صورة أخرى قد تختلف عن الأصل قليلا أو كثيرا وفى هذه الحال ان نعده من قبيل اللهجات ؛ فاللهجة انقسام فى اللغة الواحدة فى مكان وزمان معينين بحيث تختفى صورتها الأولى وتحل محلها صورة جديدة مغايرة فى زمان تابع ، وينطبق هذا على كل جزئية من العناصر اللغوية ، فلا يعنى الانقسام أو التطور أن يشمل اللغة جميعها ، أو كل عناصرها .

---

(١) انظر : علم اللغة د / على عبد الواحد وافى ٢٣٢-٢٤٣ ، ٢٨٥-٥٢٤ ٢٩/٣٠٠ ط (٤) سنة ١٩٥٧ .

ونحن فى دراسة اللهجات أحوج ما نكون إلى التفريق بين ماهو تطور وتجدد ، وبين ماهو من اختلاف اللهجات ، وقد تواجهنا صعوبات جمة فى هذا لتطاول العهد الذى تمثله المادة اللغويه المدروسة من ناحية ، ولشمولها لبيئات ومجتمعات عديدة بينها كثير من التفاوت والاختلاف على امتداد هذا العهد من ناحية أخرى ، إلا أنه لاغنى بنا عن التماس كل السبل لهذا التفريق ، وبدونه يحدث كثير من الخلط والاضطراب فى تفسير ظاهرة واحدة والحكم عليها ، بين تشكيك فيها ورد لها ، وبين عدها من اللهجات ، أو احتسابها من قبيل الإبدال اللغوى ، وما إلى ذلك من الآراء التى قد تقوم على أسس غير لغوية .

أنواع اللهجات :

استعمل علماء العربية مجموعة من الألقاب أو الصفات أو المصطلحات للدلالة على أنماط مختلفة من الاستعمال اللغوى لم تجر على العربية الفصحى ، واستعانوا فى ذلك بالتركيب الوصفى أو الإضافى أو الاسم المفرد فقالوا من الأول : اللغة الرديئة ، والضعيفة ، والمذمومة ، والمنكرة والمتروكة ، والمجهولة والقديمة ، والقبيحة . والسوادية ، والشامية . وقد تستعمل هذه وصفا للغة ، أو للكلمة .

ويستعملون التركيب الإضافى فى مثل : لغة قريش أو تميم أو أسد أو هذيل أو قيس أو اليمن أو الحجاز أو نجد ونحو ذلك .

ويستعملون الاسم المفرد للدلالة على ظاهرة معينة فى نطاق قبيلة أو مجموعة كالعنعنة . والعجعجة . والشنشنة . والوهم . والوكم . والوتم والطمطمانية ونحو ذلك .

وقد يقولون فى لغة أو لغية أو لحن للدلالة أيضا على استعمال ليس بالفصيح وماعدا المصطلحات أو الألقاب الخاصة بظاهرة معينة يستعمل استعمالا عاما غير محدد ، اللهم إلا أنه ليس جاريا على الكثير الشائع فى لغة

الأدب والكتابة ويمكننا بهذه الوسائل أن نتفق على مجموعة من المصطلحات للدلالة على المستويات اللغوية المختلفة التي تندرج تحت اللهجات .

وقد قسم المحدثون اللهجات تقسيما عاما إلى محلية يراعى فيها المكان . واجتماعية يراعى فيها الفئة التي تستخدمها . من حيث مستواهم الثقافي أو الألقاب الخاصة بظاهرة معينة يستعمل استعمالا عاما غير محدد ، اللهم إلا أنه ليس جاريا على الكثير الشائع في لغة الأدب والكتابة ، ويمكننا بهذه الوسائل أن نتفق على مجموعة من المصطلحات للدلالة على المستويات اللغوية المختلفة التي تندرج تحت اللهجات

وقد قسم المحدثون اللهجات تقسيما عاما إلى محلية يراعى فيها المكان ، واجتماعية يراعى فيها الفئة التي تستخدمها ، من حيث مستواهم الثقافي أو الاجتماعي ، أو انتماؤهم الديني أو نوعهم ذكورا وإناثا ونحو ذلك ، ومن أهم اللهجات الاجتماعية اللهجات الحرفية التي تشيع لدى أصحاب حرفة معينة ، كالنجارين والحدادين ، والبنائين والخبازين والصيادين وغيرهم .

وقد نجد مثلا لغة أو لهجة مصر أو القاهرة أو بغداد أو جبل الدروز أو تطوان ، أو الصيادين أو البحارة ونحو ذلك .

ونستعمل إلى جانب ذلك مجموعة من الألقاب أو الصفات غير المحددة فنقول اللغة أو اللهجة العامية ، والدارجة ، أو اللغة العربية أو الفصحى أو الفصيحة أو لغة الصحافة أو المثقفين أو الطبقة الراقية أو المتوسطة ونحو ذلك .

ويمكننا أن نستعمل مثلا لغة أو لهجة قومية أو وطنية أو مدنية أو بدوية أو قروية أو ساحلية أو بلدية أو شعبية أو أبناء البلد ونحوها .

ولكن تبقى هذه أو معظمها غير محددة المعالم، ولا واضحة السمات، وإنما تفهم على نحو مقارب، فحينما أقول مثلا اللغة أو اللهجة أو العامية المصرية أو العراقية أو الحجازية وغيرها، أو لغة أو لهجة أو عامية كذا فإنه لا يفهم المقصود من ذلك بالضبط، وربما كان مسئولا عن هذا عدم دراسة هذه اللهجات وتحديد عناصرها وخصائصها بحيث يصبح لهذه الألفاظ مدلولات واضحة.

وقد استخدم الغربيون مجموعة من المصطلحات لتحديد المستويات المختلفة وقد لا تتفق مقتضيات الدراسة اللهجية عندنا ودراستهم، وقد يجدى أن نستعين ببعض مصطلحاتهم تعريبا أو ترجمة أو بحثا عن مقابل، ولكن تبقى على كل الأحوال فائدة الاتفاق على مصطلحات محددة تغنى فى هذا المجال ولعل اطراد دراسة اللهجات وتزايدها يحقق هذه الغاية.

الفصل الثانى

(العرب والعربية لمحة تاريخيـــة)

١ — العرب :

يطلق لفظ العرب الآن على سكان الوطن العربى بحدوده المعروفة اليوم ولا يمنع من ذلك وجود بعض جماعات غير عربية بينهم، كالأكراد وبعض العناصر الحامية والبربرية فى إفريقية والعرب شعب قديم لا يتأخر وجوده على ظهر الأرض عن غيره من الشعوب السامية التى يرجع معها إلى أصل واحد، وهناك كثيرون يرون أن وطن العرب (شبه الجزيرة) هو مهد الساميين الأول، وعنه هاجروا إلى أنحاء الأرض المختلفة فى العراق والشام والحبشة وغيرها بل هناك من يرى أن تستعمل كلمة عربى بدل سامى، ووجوده بهذا يرجع إلى ماقبل التاريخ، ولكن الأمية التى كان عليها، وانعزاله فى الصحراء أخرا ظهوره على مسرح التاريخ، ولولا الإسلام لبقى من الشعوب المغمورة التى لا يعيرها البشر اهتماما.

وقد اختلفت باحثو العربية فى سر هذه التسمية، ويحدثنا ابن منظور عن بعض ذلك فيقـول : إن بعضهم يرى : « أن أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان، وهو أبو اليمن كلهم، وهم العرب العاربة ... وقيل إن أولاد إسماعيل نشئوا بعربة وهى من تهامة فنسبوا إلى بلدهم .. قال الأزهرى : والأقرب عندى أنهم سموا باسم بلدهم العربات، وقال إسحاق ابن الفرج : عربة باحة العرب وباحة أبى الفصاحة إسماعيل . . . وأقامت قريش بعربة فتنخت بها، وانتشر سائر العرب فى جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عربة . . . » .

وقد ظهر منذ العهد الأول التفريق بين سكان البادية فسموا أعرابا

والواحد أعرابى ، وسكان الحضر فسموا عربا والواحد عربى ، وظهر أثر هذا فى مفهوم هذه الألفاظ ، فنجد عندالفيروز بادى : « العرب - بالضم والتحريك - خلاف العجم ، مؤنثوهم سكان الأمصار ، أوعام ، والأعراب منهم سكان البادية . . (والعربة) ناحية قرب المدينة ، وأقامت قريش بعربة فنسبت العرب إليها ، والعربات : طريق فى جبل بطريق مصر . . . وتعرب : أقام بالبادية . . . » .

ويقول ابن منظور : « والأعرابى إذا قيل له ياعربى فرح بذلك وهش له ، والعربى إذاقيل له يا أعرابى غضب له ، . ولايجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب إنماهم عرب ، لأنهم استوطنوا القرى العربية ، وسكنوا المدن . . وفى الحديث : ثلاث من الكبائر . منها : التعرب بعد الهجرة ، هو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا ، وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من غير عذر كالمرتد » .

ويتحدث ابن خلدون عن « أن جيل العرب فى الخلقة طبيعى » ويقصد به حياة التوحش فى البادية والريف قبل الاستقرار والتحضر ، خاصة رعاة الإبل ، إذ الإبل أصعب الحيوان فصالا ومخاضا ، وأحوجها فى ذلك إلى إبعاد النجعة ، وربما زادتهم الحامية عن التلول أيضا . فأوغلوا فى القفار ، نفرة عن الضعة منهم ، فكانوا لذلك أشد الناس توحشا ، وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه ، والمفترس من الحيوان المعجم ، وهؤلاء هم العرب ، وفى معناهم ظعون البربر وزناتة بالمغرب ، والأكراد والتركمان والترك بالمشرق ، إلا أن العرب أبعد نجعة ، وأشد بداوة ، لأنهم مختصون بالقيام على الإبل فقط ، وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معها ، فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعى لابد منه فى العمران »(١).

ووضح الفترة التى كان مفهوم التعرب فيها مذموما فى حديثه عن « أن

(١) مقدمة ابن خلدون ٦٨ ، ٦٩ ط - ١ - الخيرية سنة ١٣٢٢ هـ .

أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر ، وأنها كانت فى أول الإسلام لمظاهرته ومناصرته قبل الفتح ، أما بعد ذلك فلم تعد الإقامة فى البادية والرجوع إليها مجلبة للذم ، وقيل «كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب ، وهو سكنى البادية حيث لا يجب الهجرة[1] »

وواضح ارتباط هذه الكلمة بالبادية ، ويميل كثير من المحدثين إلى هذا فيرى «إسرائيل ولفنسون» أنها «كانت تطلق على نوع خاص من القبائل وهو النوع الذى يسكن البادية ، ذلك النوع المتنقل الذى لا يستقر فى مكان واحد ، بل يتبع مساقط الغيث ، ومنابت الأعشاب والكلأ ، والتفريق بين العرب والأعراب حدث فى عصور قريبة من الإسلام ، أما قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقا ، بل كان كل من الكلمتين يدل على سكان البادية فحسب ، أما سكان المدن والأمصار فكانوا ينسبون إلى قبائلهم ، أو يعرفون بمناطقهم ، ويرجح ذلك لأن :

١ - كلمة عرب كانت مستعملة فى اللغة العبرية القديمة تدل على أهل العربة : الصحراء) أى لنوع خاص من قبائل الجزيرة العربية فى حين كان لأهل المدن والعمران أسماء أخرى جاءت فى كتب اليهود القديمة

٢ - أن كلمة «عبرى» تؤدى المعنى الذى تؤديه كلمة «عربى» نفسها ، أى أن العبريين هم قبائل رحل ، كانت تنتقل بخيامها وإبلها من مكان إلى آخر ، وكان هذا الاسم يطلق على بنى إسرائيل وعلى غيرهم من القبائل الرحل التى كانت فى جهات طور سيناء وبادية سوريه وفلسطين .

٣ - . . . كلمة عبرى وعربى مشتقتان من ثلاثى واحد هو عبر (بمعنى ذهب ورحل وقطع مرحلة من الطريق)[2] .

---

(١) السابق .

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٦٤ - ١٦٥ ط ١ - الاعتماد سنة ١٩٢٩ .

ويرى المستشرقون أن هذه الآراء لاتستند إلى أسس أو نصوص مدونة استعملت فيها الكلمة، وحدد مدلولها، ولما لم يكن فى العربية ما يفيد فى الوقوف على معرفة المراد بهذه التسمية قبل العصر الجاهلى - لأن العربية حديثة عهد بتدوين - تتبعوا استعمالاتها ومعانيها فى اللغات السامية وغيرها مما كان لأصحابها صلات بالعرب. «فوجدوا أن أقدم نص ورد فيه اسم «عرب» هو نص آشورى يعود إلى أيام الملك «شلمنصر الثانى»... كانوا يقصدون بها مشيخة كانت تحكم فى البادية المتاخمة للحدود الآشورية... وكان يحكمها ملك يقال له جنديبو «جندب» اختلف العلماء فى كيفية النطق بهذه الكلمة: فقرئت: ARub و: ARibi و ARibu و ARAbi و ARbi و uRbi، وجاءت فى نقش بهستون «بيستون» لدارا الكبير (٥٢١ - ٤٨٦ ق. م) كلمة أربابة. عربابة ARabaya وتعنى: العربية أو أرض العرب ويفهم من النص «أن مفهوم العربية فى ذلك الوقت كان يشمل منطقة واسعة تمتد من إقليم بابل وآشور حتى حدود مصر، أى كل المنطقة الواقعة فى شمال جزيرة العرب»

وفى النصوص العبرية التى وردت فيها كلمة عرب دلت على البداوة والبادية وسكانها، ولم تدل على قوم معينين إلا فى عهد متأخر، فقد جاء فى سفر إرميا: (امتدت دعوته من ٦٤٠ - ٥٨٦ ق م)[1]

«وكل ملوك العرب» (٢٥/٢٤)، مما يدل على أن المقصود بهم شعب أو شعوب معينة كانت معروفة، وسواء استعملت بمعنى البدو أو بمعنى محدد فإنها فى النصوص العبرية كانت تعنى من كان فى شمال الجزيرة متاخما لبنى إسرائيل، وبعد ذلك فى مرحلة متأخرة قصد بها سكان الجزيرة جميعا فى الشمال والجنوب.

(١) الحضارات السامية القديمة / ٢٨٣ - سبتسنو موسكاتى ترجمة د/ السيد يعقوب بكر.

« وأدخل بولس الرسول شبه جزيرة سيناء فى العربية كذلك ، فى رسالته إلى أهل أغلاطية ، لأن هاجر جبل سيناء فى العربية » (٢٥/٤) .

وقد جاءت كلمة ARabae عند هيرودتس (نحو ٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م) من مؤرخى اليونان وقصد بها ، شبه جزيرة العرب كلها ، وقد أدخل فيها جزءا من الأرضين المصرية ، التى هى فى شرقى وادى النيل » . وهناك أسماء وألقاب عدة أطلقت على الشعوب والجماعات العربية فى النصوص السامية والفارسية ، وعند مؤرخى اليونان والرومان ، إلا أنها كلها لاتكاد تتجاوز منطقة شبه الجزيرة وأرض الرافـــدين غربا إلى البحر الأبيض المتوسط ، وأحيانا سيناء وصحراء مصر الشرقية .

وأول أثر وصلنا إلى الآن بالعربية الشمالية فيه إشارة إلى العرب هو نقش النمارة الذى يرجع تاريخ كتابته إلى ٣٢٨ ب . م . وجاء فيه ، تى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج ، أى : هـذا قبر امرىء القيس ملك العرب كلهم الذى حاز التاج ، ومع هذا ، لايستطيع أحد الجزم بتعيين الوقت الذى استعمل فيه العرب أنفسهم كلمة العرب علما عليهم : بدوهم وحضرهم على أنه علامة فارقة تميزهم عن بقية الأقوام ، لعدم وجود نصوص مدونة لدينا تبين بجلاء أن العرب حضرهم وبدوهم كانوا يسمون أنفسهم عربا . والنص الوحيد الذى لا يمكن أن يشك فى صحته إنسان هو القرآن الكريم ، فهو أول نص فى العربية لايعلق به غبار الشك والظنون استعمل الكلمة علما »[1]

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ج /١ والنصوص من صفحات : ١٦٩ - ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٢ وانظر : العرب قبل الإسلام : جورجى زيدان / ٣٩ - ٤٠ ، قاموس الكتاب المقدس مادة : عرب . اللهجات العربية الحديثة فى اليمن د / مراد كامل / ٢٤-٢٥ .

واستعماله لها بهذا المعنى يقتضى أن تكون معروفة به لدى العرب قبله بفترة ونكتفى بهذا القدر فى التعريف بالعرب : مادار حول هذه التسمية ، وارجع إن شئت تفصيلا ومزيدا من الآراء إلى : تاريخ العرب قبل الإسلام د / جواد على ج / ١٦١/١ وما بعدها .

وتاريخ العرب قبل الإسلام فيه كثير من الغموض والاضطراب ، ويقوم فى جانب كبير منه على الروايات غير المحققة ، وتستمد بعض جوانبه من التوراة ومن بعض الإسرائيليات التى كانت تشيع عند اليهود .

ومن المهم لدارس العربية عامة ، ودارس لهجاتها خاصة أن يعرف كل ما يمكنه عن العرب تاريخهم وأحوالهم المختلفة ، سياسية واجتماعية ، وكل ما يتعلق بهم ، فكثير من الأمور اللغوية لا تفهم إلا من خلال بيئتها التى تولدت فيها ونشأت عنها .

وقد تحدث المؤرخون عن العرب البائدة والعرب الباقية ، ويذكرون من البائدة قبائل طسم وجديس وعاد وثمود والعمالقة وجرهم الأولى وغيرهم . وعن العرب الباقية ، وقسموهم إلى عرب الجنوب أو القحطانيين ، وعرب الشمال أو العدنانيين وفى الجنوب كانت دول وحضارة ، وكانت إمارات ومدنيات فى الشـــام والعراق ، وفى وسط الجزيرة كانت أيام ووقائع ، وكانت عادات وتقاليد ، ومعتقدات وخرافات ، وعلوم ومعارف وصناعات ، ونيران وأسواق . ومواسم ، وآراء عن الكون ومافيه والحياة والموت ، وعالم الغيب والشهادة ، ومعرفة هذه جميعا تساعد دارس العربية على فهمها والوقوف على أسرارها .

ومع أنه كانت هناك ممالك ودول ومدن وحواضر إلا أن النظام القبلى كان هو الغالب عليهم ، وللقبائل عندهم طبقات ، عدها بعضهم ستا وبعضهم عشرا : الجذم ، ثم الجمهور ، ثم الشعب ، ثم القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم

الفخذ ، ثم العشيرة ، ثم الفصيلة ، ثم الرهط ، وكل هؤلاء يمثلون عدداً هائلا من الجماعات تتسع وتضيق ، وتنعزل وتتقارب ، وتنقسم وتندمج ، وكل يضرب في جوف البادية يتبع مساقط الغيث ، ومنابت العشب والكلا . ويرسل القول حنينا وأنينا ووعدا وعيدا ، زمجرة عاصفة أو نسيبا رقيقا ، لوعة على فقد حبيب ، وشكوى من غربة ونزح ، وبرما بالحياة وتبعاتها ، أو دعوة إلى المتعة واللذة ، واغتناما لموبقات الصفاء . أو حكمة أصيلة وتجربة صادقة . وغير هذا وذاك من دواعي القول ، وهم فيما سوى ذلك يتسامرون ويتجادلون ويتعاملون بالكلمة في كل مايعن لهم ، ولم يكن لهم من ضابط ، ولا عليهم من قيد ولا رقيب ، فاختلفت مناحي القول ، وتعددت جهاته ، وتنوعت صوره ، ومادة اللغة التي جمعها لنا العلماء حافلة بكل ذلك .

وتصادفنا أسماء كثير من القبائل في أثناء استعراض المادة اللغوية ، كأسد وقيس وتميم والأزد وهذيل وطيء وقضاعة وتغلب وغني وغفار وهمدان وهوازن وغيرهم .

وهناك كثير من الكتب تحدثت عن أنساب العرب وطبقاتهم ، في الجزيرة وخارجها قديما وحديثا ، فيها كثير من فائدة إلى جانب كثير من قصور وحبذا لو تضافرت الجهود لجمع كل مايمكن من معلومات عن هذه القبائل : مواطنها وتنقلاتها والصلات التي بينها وبين غيرها ، وانتشارها في في أنحاء الوطن العربي بعد الفتح ، والطرق التي سلكتها في الهجرة ، وإعداد الأطالس الجغرافية التي تلخص ذلك وتوضحه ، ثم جمع أشعارها ، وماروى عنها من لغة ، وقد وجهت بعض الهم إلى شيء من ذلك ، ولكني وجدت الوقت لن يسعف به الآن ، إلا أنه لاغنى بنا عن ذلك إذا أردنا دراسة علمية وافية للهجات العربية . نتتبع كل قبيلة بيئة وتاريخا ولغة في الجزيرة وخارجها منذ ظهرت إلى الآن أو إلى أن تضيع منا آثارها ، ما أمكن

ذلك(١) .

العربيـــة :

العربية إحدى اللغات السامية ، وهى من أقدم اللغات المعروفة نشأة ، وإن كان ما وصلنا منها من آثار لغوية يرجع إلى فترة متأخرة كثيرا عن غيرها من اللغات ، ويرى علماء الساميات أن العربية أكثر أخواتها احتفاظا بالعناصر والخصائص السامية الأولى ، وإن كانت فى بعض النواحى سبقت غيرها فى التطور .

وقد رأينا أن كثيرين يذهبون إلى أن شبه الجزيرة هو مهد الساميين الأول وبذلك تكون العربية أقدم الساميات على الإطلاق ، ولكن المعروف عن ماضى هذه اللغة قليل جدا ، وهناك حقب طويلة مجهولة فى تاريخ العربية .

والاتجاه السائد تقسيم العربية إلى شمالية وجنوبية ، وإن كان هناك من يعترض على هذا التقسيم لأنه لا يقوم على أسس صحيحة ، فليس من اليسير فصل الشمال عن الجنوب ، وقد كانت القبائل العربية تضرب فى أرجاء الجزيرة لا حدود ولا قيود ، فتختلط وتتمازج ، وكذلك لهجاتها وأن عربية الشمال قد سادت فى العصور القريبة من ظهور الإسلام ، وأن العربية الباقية مزيج من اللهجات الجنوبية والشمالية ، وأن الأوفق التقسيم إلى عربية بائدة وعربية باقية(٢) .

---

(١) انظر فى ذلك مثلا : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزى ، وقبائل العرب فى مصر لأحمد لطفى السيد ، والقبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة د/ عبد الله خورشيد البرى .

(٢) تاريخ اللغات السامية ولفنسون / ١٦٣ - ١٦٦ .

إلا أنه من الواضح قديما وحديثا وجود فروق كثيرة بعضها جوهرى بين عربية الشمال وعربية الجنوب ، مما دعا أبا عمرو بن العلاء إلى قولته المشهورة « ما لسان حمير وأقاصى اليمن لساننا ، ولا عربيتهم عربيتنا»[١] ويقول ابن جنى « لسنا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابنى نزار»[٢]

ويمكننا أن نقول إن هناك عربية بائدة ، وعربية نقوش وعربية باقية وكل منها شمالية وجنوبية .

فالعربية البائدة ترجع الى تلك الحقب المجهولة ، ولم يصلنا منها شيء ما ، إلا أننا نقطع بوجود عربية كانت مستعملة فى تلك الأزمنة السحيقة ، كانت أصلا لما عرف بعد ذلك ، من عربية النقوش والعربية الباقية ، وربما يفيدنا فى تكوين بعض تصورات عن العربية المجهولة ما تكشفه الموازنة بين العربية وأخواتها السابقة عليها تدوينا وكتابة ، كالبابلية الآشورية والعبرية القديمة من وجوه الاتحاد أو التشابه ، وستبقى حدود هذه المجهولة قابلة للانتقاص كلما عرفنا عنها شيئا مع الزمن .

أما عربية النقوش فهى تلك التى كشفت عنها الحفريات وأعمال البحث والتنقيب فى كثير من أنحاء الجزيرة ، خاصة الجنوب والشمال ، وحدودها قابلة للزيادة وربما كشف لنا المستقبل عن كثير منها ومما يتصل بها ، ولا يعرف يقينا كيف كانت تنطق ، أما العربية الباقية فهى التى وصلتنا فى الشعر الجاهلى . ونزل بها القرآن وما زالت حية مستعملة هى وما تطور عنها إلى الآن فى الجزيرة وخارجها ، وكذلك آثار اللهجات اليمنية فى هذه اللغة ، واللهجات المستعملة الآن فى بعض أنحاء اليمن ، وترجع أصولها إلى الجنوبية القديمة .

---

(١) المزهر .. ١ / ١٠٥ ط : صبيح :

(٢) الخصائص ١ / ٣٨٦

العربية الجنوبية :

كشف المنقبون عن أعدادها مائة من النقوش مدونة بالخط المسند ، معظمها فى بلاد اليمن ، وبعضها فى منطقة العلا وما حولها شمال الحجاز ، وبعضها فى بلاد كنعان فى شمال الجزيرة وشمالها الغربى ، وعرفت معلومات كثيرة سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية وغيرها عن عرب الجنوب قدمتها هذه النقوش ومن أهم ما ظهر فى تاريخ الجنوب دول : معين . وسبأ . وحمير . وقتبان . وحضرموت وتاريخ قيام هذه الدول وزوالها محل خلاف بين العلماء ، ويشير الأستاذ جورجى زيدان إلى قدم المعينيين فيرى أنهم هم المذكورون ، فى سفر الأخبار الثانى ٢٦ عدد ٧ حيث يقول : « وأعانه الله (عزيا) على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل ، وعلى المعونيين ، ويظهر أنهم أقدم من ذلك كثيرا ، لأنهم عثروا على أمة بهذا الاسم ذكرت فى أقدم آثار بابل بين أخبار « نرام سين » سنة ٣٧٥٠ ق . م على نصب عليه نقوش مسمارية جاء فيها أن « نرام سين » حمل على معان (فى جزيرة سينا) وقهر ملكها معنيوم Manuim (والميم للتنوين فى البابلية) . . . وجاء ذكر هذه الأمة أيضا مع أمة ماليق فى آثار بابل مرة أخرى سنة ٢٥٠٠ ق . م . . [١] » .

والحديث عن تاريخ هذه الدول طويل متشعب ، والإحاطة به وبكل ما يقدمه من معلومات ضرورى لمن يريد أن يتوفر على دراسة لهجات الجنوب أو إحداها[٢] وقد نسبت لغات النقوش إلى الدولة التى دونت فى

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام : ١٣٢ - ١٣٣ ، ٥٣ - ٥٤ . تحقيق د/ حسين مؤنس .

(٢) انظر فى ذلك على سبيل المثال : كتاب زيدان ، وتاريخ العرب قبل الإسلام د / جواد على ، والتاريخ العربى القديم : ديتلف نيلسن وآخرين .

عهدها فنجد حديثا عن اللغة أو اللهجة المعينية ، وعن السبئية ، والحميرية ، والقتبانية ، والحضرمية والفروق بين هذه ضئيلة جدا ، وربما كان السبب فى ذلك أنها وصلتنا بلغة الكتابة والغالب عليها الثبات ، ولاتظهر فيها وجوه الخلاف والتباين فى النطق ومن الفروق التى سجلتها النقوش بين هذه اللهجات : أن السبئية تستعمل الهاء فى ضمائر الغيبة ، وفى صيغة التعدية « هفعل » وغيرها تستعمل السين بدل الهاء فى ذلك ولم تسجل هذه النقوش الأفعال فى غير حال الغيبة وقد يرجع ذلك إلى أن لغة النقوش خاصته ، أو « أن الفعل كان يكتب بصورته الأصلية فى كل الأحوال ، والقارىء أثناء القراءة يفهم الصيغة المناسبة والزمن المطلوب[1] » .

كذلك لايبين فيها اللازم من المتعدى ، وحروف هذه النقوش تسعة وعشرون بزيادة السين الشجرية أو الشينية عن حروف العربية الشمالية ، وتقابل هذه السين السامخ فى العبرية ، ففى العبرية والعربية الجنوبية س وش وحرف بينهما ، وفى الشمالية س و ش فقط [2] .

ولاتتناسب الفائدة اللغوية لهذه النقوش وكثرتها لأنها متشابهة فى مادتها تقريبا فهى أسماء أعلام لأشخاص وأماكن وآلهة وأدعية فى النقوش الدينية ، وبعض الأحداث والأعمال والانتصارات فى النصوص السياسية . كما نجد وصفا لبعض أعمال البناء ، وبعض مايتصل بالاقتصاد والأحكام القضائية وكثير منها لم يصل كاملا ، كما أن فيها كثيرا من الكلمات غير الموجودة فى سائر اللغات السامية مما حمل العلماء على فهم المراد منها على نحو تقريبى من خلال السياق ، وربما زادت معرفتنا عنها مستقبلا .

---

(١) تاريخ اللغات السامية / ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) وانظر المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . لاغناطيوس غويدى ط رومية سنة ١٩٣٠ .

ولازالت آثار من لغات اليمن القديمة حية فى الاستعمال فى بعض اللهجات كالمهرية والسقطرية والشحرية وغيرها[1]، ومن لغة النقوش إليك هذا النقش .

١ - ب . . . وهق . . . جنا وصوابت ومحفدت وهجر همو

٢ - مبرام حسسم وا . . . . م . . . . م و وسفو وريمو كل جنا هو وصوبت .

٣ - . . . . جنا هو وصو بتهو ومحفدتهو بز مر يمهو عدى ثرتهو وهدبو هو وهمقبن

٤ - خدعو وهمقبو لحلفهو مصرعتم مبرا ومقيح كل صدقم بن موثر م عدى ت .

٥ - . . . . ن بعقم مراهيمو عتتر شر قرن واشمسهو والاتهمو وباخيل ومقيمت خميس .

٦ - حن يور خن ذ قيصن ذ يخرف ذ لهشت وتسعى وثلث ماتم بن خرف مبحض بن أبحض   وترجمته .

١ - . . . . (وأصلحوا مرة أخرى) السور و . . . أبراج مدينتهم

٢ - بأدوات البناء ، ووسعوا كل سور . و . . . .

٣ - وسورها و . . . . أبراجها ، من أعلى إلى أسفل مكان ، وزينوها ب . . . وأبراجها للحراسة .

٤ - وعمروا الحلف ؟) على هيئة باب حصن ، بأحسن أدوات البناء وفن التعمير من أسفل إلى أعلى . . .

---

(١) انظر : اللهجات العربية الحديثة فى اليمن د / مراد كامل .

٥ - بمجد سيدهم عثتر المشرق ، وآلهة الشمس ، وسائر الآلهة ، وبحول وقوة الخميس (الجيش) .

٦ - فى شهر ذى قيصن من سنة ثلاثمائة سنة بعد مبحص بن أبحص .

ومن اللهجة المهرية المعاصرة :

أمور : طاد شه حرميت وشيس غيثوت ، هميس وريت هيما بيس دولت ، سسال من رحبته تى نوكا لهل حيبس ، أمور هه : حوم لهادس هنوك . هماك بحير نك ، همس وريت .

وعربيتها : قال : واحد معه امرأة (حرمة) ومعها ابنتها ، اسمها قمر ، سمع بها السلطان (الدولة) وذهب من بلده إلى أبيها وقال له : أريد أن أتزوج عندك . سمعت بابنتك التى تسمى .. . قمر ..

ومن أمثلة اللهجات الجنوبية التى ترجع إلى الفصحى الشمالية . من اللهجة الحضرمية .

جال : رجال معى حرمة ومعى طيور . وصصبح عتنته ها ذا طيور غدا ، جال : أحد أخير منى يحول : ماعاد ناس أخير منش . نهار واحد خلته بغير غـدا ، جال لها : أنت ماعاد ناس أخص منش يوم خلتنا بغير غدا .   وبالفصحى :

قال : رجل كان له امرأة وكان معه عصفور (طائر) وفى الصباح حين كانت تقدم للعصفور الأكل تقول له : هل هناك أحد أحسن (أخير) منى ؟ يقول : ليس هناك أحد أحسن منك .. .(١)

ومن الواضح مدى الفرق بين اللهجة المهرية المتبقية من العربية

---

(١) اللهجات العربية الحديثة فى اليمن ٦٣ ، ٩٣

الجنوبية وبين العربية الشمالية ، ومن الواضح أيضا آثار اللهجات القديمة فى عربية الشمال على ألسنة اليمنيين .

العربية الشمالية :

تشمل هذه اللغة التى وصلتنا فى الشعر والنثر ، وبها نزل القرآن الكريم ، ولها ومنها وضعت قواعـــد النحو والصرف والبلاغة وغيرها ، وعنها تولدت وتطورت لهجات الخطاب فى ألسنة العرب الآن فى أنحاء الوطن العربى ـ معظمه ـ ، كما تشمل لغة مجموعة كبيرة من النقوش عثر عليها المنقبون فى الأجزاء الشمالية من الحجاز خاصة فى العلا ، والحجر (مدائن صالح) والبتراء وبصرى ، ومنطقة الصفاة فى الجنوب الشرقى من دمشق ، فلغة هذه النقوش تتفق مع اللغة التى وصلتنا ، وإن كانت فيها بعض آثار من اللغات واللهجات السامية التى كانت شائعة فى شمال الجزيرة خاصة الآرامية ، وهى من هذه الناحية قسمان :

قسم شديد التأثر بالآرامية ، وقد دون بخط مشتق من المسند ، وقسم أقرب إلى العربية ودون بالخط النبطى ، أو بخط مشتق منه . ويمثل القسم الأول مجموعة هائلة من النقوش قسمت إلى أنواع ثلاثة تبعا للخط الذى دونت به واسم الشعب أو القبيـــلة الذى تنتمى إليه ، أو المنطقة التى عثر عليها فيها ، فهناك النقوش اللحيانية ، والثمودية والصفوية :

فاللحيانية . نسبة إلى قبائل بنى لحيان ، والمواطن التى عاشوا فيها وتنقلوا بينها هى : من جنوب العقبة إلى شمال ينبع ، وفى نواحى خيبر وفدك والعلا ، ومعظم هذه النقوش عبارة عن خربشات صغيرة ، وبعضها أجزاء من نقوش لانقوش كاملة ، وقد جهد فى تفسيرها علماء أوربا ، ولكنهم لم يفلحوا فى حل كثير منها : لأنها أجزاء من نقوش . وجل كلماتها واصطلاحاتها فى غاية الإبهام على أنه مما لاريب فيه أن لغتها عربية ، ويوجد فيها حروف :

ذ . ث غ . ض ، كما يوجد فيها أفعل التفضيل ، وعلامة التنبيه التى هى من الخصائص البارزة للغة العربية[1] « ، ، وكثيراً جداً من الأسماء والمفردات الشائعة فى العربية الفصحى وتختلف الآراء فى العصر الذى ترجع إليه هذه النقوش فهناك من يذهب إلى أن أقدمها لايتجاوز القرن الأول أو الثانى قبل الميلاد وهناك من يرجعها إلى الخامس أو السادس وأحدثها يصل إلى القرن السادس الميلادى . ومن أسماء الآلهة عندهم : آل . إله : الهة ود . سميع . نسر مناة ذو غبت (ذو غابة) .

والثمودية : نسبة إلى قبائل ثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم وقد كانوا بعد اللحيانيين ومواطنهم هى بلاد اللحيانيين. وقد ورد ذكرهم فى نقوش مسمارية ترجع إلى القرن ٨ ق . م فى عهد سرجون تشير إلى أنه هزمهم إلى غزوة ، وهناك إشارات إلى أنهم قدموا من الجنوب من اليمن أو العسير والنقوش مدونة بخط مشتق من المسند أيضا ، وهى موجزة غالبا ومن أمثلتها :

دنه قبور صنعه كعبور بر حرتت للقصبرت عبد منوتأمه دىهلكت فى الحجر شنة ماه وشتين وترين بيرح تموز ولعن مرى من يشنا القبور دا ومن يفتحه جشى يلده ولعن من يغير دا على منه

وترجميه :

هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقبض بنت عبد مناة أمه، التى هلكت فى الحجر سنة مائة واثنتين وستين من شهر تموز ، ولعن رب العالمين من غير هذا القبر ، ومن فتحه يحس (يمس) بأولاده ، ولعن من غير الذى

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ولفنسون / ١٧٧ .

كتب أعلاه (١) »، ويرجع تاريخ هذا النقش إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادى وهناك نقوش يستدل منها على أنها ترجع إلى ماقبل الميلاد .

والصفوية : نسبة إلى المنطقة التى اكتشفت فيها ، وهى عبارة عن نقوش صغيرة نقشت فى الصخور والأحجار أو خربشت ، وهى قريبة جداً من حيث الخط واللغة وأسماء الآلهة من الخربشات الثمودية . . . ومن بين هذه النصوص ما يرجع تاريخه إلى عام ١٠٦ م ومنها مايرجع إلى ١٢٤م ومنها ما يرجع إلى ٢٠٦ م(٢) » .

أما القسم الثانى من النقوش وهو الأدنى إلى العربية فتمثله نقوش النمارة وزبد وحران وأم الجمال ، وهى بالخط النبطى المتأخر والحروف فيه متصلة ، وهو شديد الشبه بالخط الكوفى ، والآثار الآرامية فيها قليلة .

وأقدمها نقش النمارة كتب سنة ٣٢٨ م وهو مكون من خمسة أسطر :

١ - تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله دو أسر التج .

٢ - وملك الأسدين ونزار وملوكهم ، وهرب مذحجو عكدى وجا .

٣ - بزجى فى حبج نجرن مدينة شمر ، وملك معدو ونزل بنيه .

٤ - الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ - عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .

وترجمته :

أ - هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى حاز التاج

٢ - وملك الأسدين ونزار وملوكهم ، وهزم مذحج بقوته .

---

(١) السابق / ١٧٨ .

(٢) التاريخ العربى القديم ... / ٤٦ .

٣ - وجاء إلى نزحى (أو بزجى) فى حبج نجران مدينة شمر ، وملك همدا وأنزل (قسم) بين بنيه .

٤ - (أرض) الشعوب . ووكله الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه.

٥ - فى الحول (عكدى) هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ من كسكول (إلول: كانون الأول) ليسعد الذى ملده (الذين خلفهم)[1] .

ولا شك أن هذه النقوش تقدم لنا معلومات لغوية قيمة خاصة فى دراسة اللهجات القديمة ، ولكن ما يؤسف له أن ما نعرفه فى الشرق العربى عن لغة هذه النقوش ضئيل ، يأتينا عن طريق الغربيين الذين اكتشفوها وحلوا رموزها وترجموها وشرحوا ألفاظها .

أما الشمالية غير لغة النقوش فقد كانت لغة عديد من القبائل العربية ، استقر فى المدن والقرى كمكة والمدينة والطائف ومعظمها كان يضرب فى أرجاء الصحراء ، يتتبع مساقط الغيث وموارد النجعة والكلأ ، ولكل قبيلة كيان قائم بنفسه ، تمتاز عن غيرها فى قليل أو كثير من شئون الحياة ومنها اللغة ، يسالمون ويحاربون ، يحالفون وينفصلون ، يلتقون ويفترقون يختلطون ويمتازون ، وفى مواسم الحج ، وفى الأسواق تقوم محافلهم يتناشدون الأشعار ، ويشهدون منافع لهم ، ويتبارون فى فنون القول ، ويأخذ بعضهم عن بعض ، ويحتاج كل للتفاهم مع صاحبه ، وتكثر الروابط بين القبائل وتتشابك بمرور الزمن وتنشأ لغة مشتركة يتفاهمون بها جميعا ، وتصبح هى السائدة ، وهى اللغة النموذجية التى تنشد بها الأشعار ، وتلقى الخطب ويسجع بها العرافون والكهان ، ولكن هذه اللغة المشتركة لم تقض على اللهجات المختلفة ، فبقيت حية على ألسنة العرب ، وانتقلت معهم إلى البلاد المجاورة التى استقروا فيها .

---

(١) تاريخ اللغات السامية ..: / ١٩٠ .

ويتحدثون عن أن هذه اللغة السائدة كانت لغة قريش ، وأن قريشاً كانت تختار من كل قبيلة أفضل ما عندها وأفصحه فتدخله فى كلامها ، وأن لغة قريش هذه كفلت لها أسباب السيادة لما كان لأصحابها من مكانة ونفوذ فى مختلف المجالات دينية واقتصادية وسياسية ولغوية . ولغة قريش بهذه الصورة أمشاج ممتزجة من لغات القبائل التى كانت ترد إلى مكة للحج ، وسواء كان لقريش لغة متميزة سيطرت على غيرها وسادت ، أو كانت هذا المزاج من اللهجات المختلفة ، فقد أصبحت فى وقت من الأوقات وهى اللغة الموحدة بين العرب جميعا ، ومن ثم نزل بها القرآن الكريم .

واللهجات العربية الحديثة حفائد العربية الشمالية ، وامتداد لها ـ اللهم إلا بقايا من العربية الجنوبية فى بعض أنحاء اليمن ، ونذكر بتغلب الشمالية على الجنوبية قبل ظهور الإسلام خاصة فى المجال الأدبى ـ فالعربية الفصحى الآن لغة الكتابة والأدب والعلم امتداد للعربية المشتركة الموحدة من قبل ظهور الإسلام ، واللهجات العامية امتداد للهجات العربية الكبيرة ، التى لم تقض عليها اللغة المشتركة فى مجال التخاطب والحديث اليومى ، ثم من آثار صراع هذه اللهجات مع بعضها البعض ، ومن آثار صراعها مع اللغات الأصلية للشعوب التى اختلط بها العرب خارج جزيرتهم وداخلها .

وهناك « رأى يقول به الأستاذ الأمريكى « تشارلز فيرجسون » ونشره فى مقال له بمجلة اللغة الأمريكية سنة ١٩٥٩ وهو يقرر أن اللهجات الحديثة لم تتولد بصفة مباشرة عن العربية الفصحى ، بل قد تولدت عن لهجة الجنود الخاصة التى حملوها معهم إلى مختلف البلاد التى فتحوها . ويدلل فيرجسون على هذا الرأى بأن جميع اللهجات العربية ـ فيما عدا لهجات شبه الجزيرة ولهجات شمال إفريقية التى تأثرت بهجرة قبائل بنى هلال ـ تجمع على مخالفة العربية الفصحى فى بعض الأمور الجوهريه ، ولا يمكن أن يكون هذا الاختلاف تطوراً طبيعيا ، لأنه لو كان كذلك لاختلف التطور

فى مكان عنه فى الآخر .. » ويميل إلى هذا الرأى د/ عبد الرحمن أيوب ، ويرى أن « اللهجات الحديثة على ثلاثه أقسام :

١ ـ لهجات شبه الجزيرة : وهذه امتداد للهجات القديمة .

٢ ـ شمال إفريقية : وهذه متأثرة بلهجة بنى هلال .

٣ ـ اللهجات الباقية : وهذه متولدة من اللهجة المهذبة المشار إليها »(١)
ونحن بهذا نغفل أثر الصراع بين العربية وبين اللغات التى كان يتكلم بها السكان الأصليون ، ثم إن نظام الجيش العربى فى معهد الأول كان يقوم على مراعاة التجمعات القبلية ، فلكل قبيلة راية فى الحرب ، ومضارب يرجعون إليها ، فلم يكن الاختلاط فى الجيش أكثر منه خارجه ، وجنود هذه الجيوش تكونت لهجاتهم واستقرت قبل أن يشتركوا فى الحروب ، وكانت فى تغير مستمر فلم تكن أعداد الجيوش ثابتة ، وإنما كانت الأمداد تأتيهم من الجزيرة تباعا ، ثم إن من تخلف فى الأمصار وغيرها من الجنود بعد الفتح كانوا من القله بحيث لا يؤثرون فى لهجات هذه الشعوب فيما بعد ، والثابت أن العنصر العربى الذى أثر إنما هو ماجاءت به الهجرات المتلاحقه التى أعقبت الفتح ، ولعل هذا يؤكد أنه لم تكن هناك لهجة خاصة للجنود الفاتحين .

أما نلمسه من إجماع على مخالفة العربيه المدروسة فى بعض النواحى فيمكن أن يرجع إلى أن هذه النواحى المخالفة كانت كذلك فى لهجات كثير من العرب ، وكثيرا ما نجد إشارات إلى أن ما خالف الفصحى هو نطق أكثر العرب . فهذا سيبويه يقول مثلا : « هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للاسماء كما كسرت ثانى الحرف حين قلت فعل

(١) محاضرات فى اللغة د/ عبد الرحمن أيوب / ٨ ـ ٨٢ ط المعارف بغداد سنة ١٩٦٦ .

(بكسر العين) ، وذلك فى لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز ، وذلك قولهم : أنت تِعلم ذاك ، وأنا إعلم ، وهى تِعلم ، ونحن نِعلم ذاك[1] » .

فلا يقال حينئذ إن الكسر فى حروف المضارعة راجع إلى لهجة الجنود ، وإلا ما أجمعت اللهجات الحديثة على مخالفة الفصحى فيه ، فهو فى الحقيقة راجع إلى أن أكثر لهجات العرب كانت تكسر هذه الحروف .

والحق إذن أن اللهجات العربية الحديثة نشأت عن التفاعل والتداخل بين العربية الفصحى ، ولهجات القبائل التى استقرت فى البلاد المفتوحة ، وبين اللغات الأصلية لهذه الشعوب ، من فارسية ، وآرامية ، وقبطية ، وبربرية وغيرها .

هذا واللهجات العربية قديمة وحديثة خضعت فى نشأتها وانتشارها وتوحدها أو انقسامها للعوامل العامة التى تؤثر فى اللغة توحدا وانقساما ، فانقسام العرب فى جزيرتهم ، وتوزعهم شعوبا وقبائل كل منها يمثل كيانا منفردا ، بالانتماء العرقى إلى جد واحد ، والدينى فى الاعتراف بمعبود معين ، يتوسلون به ، ويتقربون إليه ، ويستنصرون ويخضعون ، والسياسى فى الالتفاف حول سيد أو زعيم اكتملت له أسباب السيادة ، ينزلون على أمره ، ويحتكمون إليه ، ويصدرون عن رأيه فى السلم والحرب ، وكل ما يحزبهم مما يمس جماعتهم ، والاجتماعى فيما يكون لديهم من عادات وتقاليد تميزهم عن غيرهم ، والحضارى فيما يكون من حذقهم وإجادتهم لمعارف خاصة لا يساميهم فيها سواهم ، والوطنى فيما يكون لهم من الأماكن للاقامة والارتباع والنجعة لا ينازعون فيها ، ولا يخرجون ، يدافعون عنها العداة ، وترتبط بها حياتهم ومنافعهم ، وغير ذلك مما يحق القبيله كيانها المتميز

---

(١) الكتاب : ٤/١١٠ — هارون .

ووجودها المنفرد ، ويجعلها أمه بذاتها ، دولة قائمة ، ساعد هذا على توزع العربية ، وكثرة اللهجات فيها .

ثم ماحدث بين القبائل من اختلاط وامتزاج ، وتقارب ، في حلف ، أو جوار ، أو ولاء ، أو في المجامع والمحافل المختلفة ، في الحج والأسواق ، والعلاقات والروابط الكثيرة التي كانت تجمعهم ، والاحتكاك الدائم في الحل والارتحال ، في الإقامة والظعن ، والتشابه في شئون الحياة وماتضطرب به ، والقيمة العظيمة التي كانوا يرونها للجيد من القول منظوما أو منثورا ، والإحساس القومي الذي أخذ في الظهور والقوة منذ أواخر العصر الجاهلي والشعور بأنهم جميعا شعب واحد في مقابلة من يحيط بهم من فرس وروم وأحباش ، يخف بعضهم لنجدة بعضهم ، ويتجمعون لرد عادية الفرس ، ويفرحون ويهنئون بانتصار عرب الجنود على الأحباش ، وإخراجهم من اليمن ، كل هذا وغيره ساعد على ظهور العربية المشتركة .

وحين نزل بها القرآن ، وأخذت الدولة العربية تظهر فتية قوية ، ساطعة في أفق التاريخ ، ونشطت العلوم والفنون ، قوى ذلك من شأن هذه اللغة ، وثبت من أركانها .

ثم ما كان من افتراق العرب وتوزعهم خارج الجزيرة ، وما صاحب ذلك من تغيرات في مظاهر البيئة ، وأنماط السلوك والحياة في الطعام والشراب ، والبيت والأسرة ، والثياب والأدوات ، والمشاهد والاهتمامات ، وطرق الكسب والحاجات والأحوال ، وما تعج به الحياة من محسوسات ومعنويات ، وما كان من صراع بين الأنماط اللغوية لدى العرب ، وبينها لدى غيرهم ممن استقروا بينهم ، أو اختلطوا بهم ، في الجزيرة وخارجها ، كل هذا عمل عمله في تطور العربية تطورا سريعا شمل كل عناصرها ، وأدى إلى ظهور اللهجات العربية ، واختلافها في كل مصر وقطر عنها في الآخر .

الفصل الرابع

١ — ما وصلنا من العربية أصحابه والآراء فيه .

٢ — كيف نكتشف ظاهرة لهجية في التراث ؟

يمكن تصنيف العربية التي وصلتنا إلى مستويين .

أحدهما : اللغة المشتركة التي عرفناها لأول أمرها فيما أثر عن أهل الجاهلية ، من أشعار وخطب، وأمثال وحكم ، وكلمات شتى في شئون الحياة، ولا يتجاوز ماوصلنا — على أقصى تقدير — قرنين قبل بعثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وهي التي بها نزل القرآن ، وأصبحت لغة الكتابة المدونة ، التي اعترف بها وقبلت من الجميع، والتي اعتنى بها العلماء قديما وحديثا، جمعا وتدوينا ولها وضعت القواعد ، وحولها قامت الدراسات. والعلوم اللغوية المختلفة ، تتناول عناصرها وظواهرها .

والقاعدة العامة التي تحكم هذه اللغة الانتظام والاتساق ، والانضباط في نظم محدودة ، والخضوع لقوانين وأسس ثابتة في أصواتها، وحروفها ، ومفرداتها وتراكيبها ، وليس فيها من الاختلاف والتباين ما ينقض هذه القاعدة العامة ، فإن كان شيء من ذلك فهو من الندرة بحيث لا يشكل ظاهرة مؤثرة في قواعدها وقوانينها ، هذا إذا لم يمكن عزوه إلى المستوى الثاني ، والانطباع الذي نخرج به من حديث السلف عن هذا المستوى أنه يمثل لغة القبائل خالصة العروبة ، الضاربة في البداوة ، التي لم تشب لغتها بأوشاب مؤثرة من لغات غير عربية ، وتلك هي القبائل التي عاشت في وسط الجزيرة ، ولم يختلطوا بغيرهم اختلاطا ينحرف بلغتهم عن جادتها ، بل لنا أن نقول إنه يمثل صفوة ما كانت تتحدث به هذه القبائل ، أما سواه فقد رغب عنه ، والتحق بالمستوى الثاني.

الذى هو لغات القبائل التى عاشت فى أطراف الجزيرة ، فاختلطوا بعناصر غير عربية ، تركت آثارا فى لهجاتهم ، جعلتها تشذ قليلا أو كثيرا عن ظواهر ومنهج العربية المشتركة ، ولفتت أنظار العلماء إليها ، وجعلتهم غالبا ما يتحاشونها فى دراستهم ، أو يعرضون لها سريعا ، ويصفونها بسمات معينة تجعلها فى مكانة أقل من المستوى الأول .

كما يدخل فى هذا الضرب بعض ظواهر اشتهرت لدى أصحاب المستوى الأول ولكن اللغة المشتركة مالت إلى التخلص منها، وإن تعرض لها العلماء جنحوا إلى الغض منها ، والتهوين من أمرها .

وهذا الفارابى (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم ت ٣٥٠ ﻫ) يحدثنا عن أصحاب كل من هذين المستويين فى أول كتابه « الألفاظ »[١] فيقول :

« كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا ، وأبينها إبانة عما فى النفس ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى ، من بين قبائل العرب ، هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين .

ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ، ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فإنهم كانوا

---

(١) انظر تحقيق نسبة هذا الكتاب إليه فى ديوان الأدب ، له تحقيق د / أحمد مختار عمر ١ / ٨ - ٩

بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر ، لمجاورتهم للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس وازد عمان ، لأنهم كانوا بالبحرين ، مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن ، لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم . والذى نقل اللغة واللسان العربى عن هؤلاء ، وأثبتها فى كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط ، من بين أمصار العرب[1] » .

وينبغى أن يلتحق بأصحاب المستوى الأول هذه القبائل التى خصوها بنزول القرآن بلغاتها، إذ بعد هذا شهادة بالوثاقة والفصاحة . وقد روى أبو عبيد من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، قال: نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمسة بلغة العجز من هوازن ، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن ، وهم خمس قبائل ، أو أربع ، منها : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر ابن معاوية ، وثقيف . قال أبو عبيد : وأحسب أفصح هؤلاء بنى سعد بن بكر ، وذلك لقول رسول الله رسول الله ﷺ أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر ، وكان مسترضعاً فيهم وهم الذين قال فيهم أبو عمرو ابن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن ، وسفلى تميم .

وعن ابن مسعود : أنه كان يستحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر ، وقال عمر : لا يملين فى مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف وقال عثمان : اجعلوا المملى من هذيل ، والكاتب من ثقيف قال أبو عبيدة : فهذا ما جاء فى لغات مضر ، وقد جاءت لغات لأهل اليمن فى القرآن معروفة ،

---

(١) المزهر ١٢٨/١ ط صبيح .

ويروى مرفوعا : نزل القرآن على لغة الكعبين : كعب بن لؤى ، وكعب بن عمرو وهو أبو خزاعة[1] » ونصهم على هذه القبائل قد يدل على أن لهجاتهم كانت موضع امتياز وتقدير .

وكذلك يدخل فى هذا المستوى الأول لهجات من عرفوا بالأرحاء والجمرات فالأرحاء ست ، اثنتان لكل من مضر وربيعة واليمن ، وذكروا منها فى مضر تميم بن مرة ، وأسد بن خزيمة ، وفى اليمن كلب بن وبرة ، وطيىء بن أدد وسكتوا عن ربيعة ، وإنما سميت هذه أرحاء ، لأنها أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلها ، ولم تبرح من أوطانها ، ودارت فى دورها كالأرحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضها فى البرحاء وعام الجدب ، وذلك قليل منهم[2] » .

والجمرات : « بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحرث بن كعب بن علة بن خالد ، وبنو ضبة بن أد بن طابخة ، وبنو عبس بن بغيض ، وإنما قيل لهذه القبائل جمرات لأنها تجمعت فى أنفسها ، ولم يدخلوا معهم غيرهم » . ثم طفئت جمرتان . بنو ضبة حالفت الرباب ، وبنو الحـــرث حالفت مذحجا ، وقيل إن بنى الحرث حالفت نهدا ، وبنى عبس انتقلت إلى « بنى عامر بن صعصعة يوم جبلة ، وقيل جمرات معد : ضبة ، وعبس ، والحرث ويربوع[3] . فهؤلاء وأولئك لم يختلطوا إذن بعناصر غير عربية ، تؤثر فى لهجاتهم ، وليلاحظ أن بعض هذه القبائل المذكورة متداخلة ، ففيها من هو فرع من غيره ، فهوازن من قيس وسعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، وثقيف وبنو نمير بن عامر بن صعصعة من هوازن ، وبنو عبس من غطفان وغطفان

---

(١) المزهر ١ / ١٢٧ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٨/٢ - ٤٨ . ط العامرة الشرقية سنة ١٣١٦ هـ .

(٣) لسان العرب : (م : جمر) .

من قيس ، فقيس تشمل هؤلاء جميعاً[1] .

وقد نجد خلافاً فى المستوى الذى تمثله لهجات بعض هذه القبائل ، إلا أن أساس هذا التصنيف فى جملته ـ وهو الإعراق البداوة ، والبعد عن الاختلاط بعناصر غير خالصة العروبة ـ يظل قائماً ، خاصة فى الفترة الأولى التى جمعت فيها اللغة ، وأرسيت قواعدها ، واستنبطت قوانينها ، فهذا الأصمعى يقول عن الكميت : « هذا جرمقانى من أهل الموصل ، ولا آخذ بلغته » وعن ذى الرمة : « ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل فى حوانيت البقالين[2] » ، وهذا هو الاتجاه الذى أخذ فيه البصريون ، وجعلهم يفخرون على الكوفيين بقولهم : « نحن نأخذ اللغة عن حرشه الضباب ، وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد ، أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز[3] » .

وإن كنا نجد بعد ميلا إلى التسامح ، واعتداد بلهجات القبائل جميعا دون تفريق ، فابن جنى يعقد « باب اختلاف اللغات وكلها حجة » فإذا كانت اللغتان أو اللغات على درجة واحدة فى الاستعمال والقياس ، فلك أن تقيس على أيها شئت . وليس لك أن ترد إحداها بالأخرى : « فأما أن تقل إحداهما جدا وتكثر ، الأخرى جدا . فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياساً . إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين ، فأما إن احتاج إلى ذلك فى شعر

---

(١) وانظر فى قبائل العرب أيضا : صبح الأعشى للقلقشندى ١/٣٠٧ - ٣٦٦ . العقد الفريد ٢/٣٠ - ٦٠ .

(٢) الخصائص لابن جنى ٣/ ٢٩٤ - ٢٩٦ .

(٣) مدرسة الكوفة د/ مهدى المخزومى ٥٦ ط ٢ الحلبى سنة ١٩٥٨ عن أخبار النحويين للسيرافى ص ٩٠ بيروت .

أو سجع فإنه مقبول منه ، غير منعى عليه ، وكذلك إن قال : يقول على قياس من لغته كذا كذا ، ويقول على مذهب من قال كذا كذا ، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وإن كان غير ما جاء به خيرا منه[1] » .

وعلى أى فقد أثر الاتجاه الأول الذى ساد فى عهد التدوين والتقعيد فى الميل إلى إغفال اللهجات ، والتغاضى عنها ، والاستهانة بها ، فكان ما روى من ظواهر لهجية قليلا ، يشوبه الاضطراب والغموض ، ويغلب عليه ألا يعزى إلى أصحابه مما يسبب لدارسيه كثيرا من العنت والحرج .

ولا يرضى المحدثون عن القواعد التى احتكم إليها السابقون فى تقويم اللهجات ، ولا عن ميلهم إلى إهمالها بغية القضاء عليها ، ولا عن الأحكام التى أصدروها على هذه اللهجات ، فاللغة انعكاس لأصحابها المتكلمين بها ، فى أحوالهم المختلفة مادية ومعنوية ، وقد جرت سنة الله فيها أن تتغير وتتبدل من مكان لآخر ، ومن زمان لزمان ، ومن جماعة لجماعة ، ولا يقبل أن يحكم بلهجة على أخرى ، فلكل لهجة كيانها القائم بنفسه ، ولها عناصرها ، وخصائصها ، وقوانينها التى تنفرد بها ، وتخضع لها ، وتجرى على سننها ، ويعد الخروج عليها خطأ ، وإن كان فى غيرها فصيحا صحيحا مقبولا ، وكذلك لا يعيبها ما جرى على أحكامها وسننها ، ووافق قواعدها هى ، وإن كان لها غيرها خطأ معيبا ، ولحنا مرذولا ، والشأن أن يدرس النظام اللغوى — لهجة أو لغة — ويقوم من خلاله هو ، وبمنهجه وقواعده نفسه ، ولا تفرض على لهجة ما قواعد أو قوانين أو مناهج لهجة أخرى .

عاش هذا المستويان يعتلجان ويصطرعان ، ويتبادلان التأثر والتأثير ، وانتقل كثير من الألفاظ والتراكيب . ومعانى الألفاظ ، والخصائص الصوتية من أحد المستويين إلى الآخر ، ولم يكن من المستطاع الفصل الحاسم بينهما فقد اختلا وامتزجا ، واختلطا على الألسنة فى الاستعمال ، وقد فطن

(١) الخصائص ٢/ ١٠ - ١٢ .

السلف إلى هذا فحين يتحدث ابن فارس عن اختـــلاف لغات العرب ووجوهه يقول : « وهى وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل[١] » .

ولعل هذا هو السبب فى تلك الأحكام . واستخدام الكلمات فى معان يصوبها فريق ويخطئها آخر ، تبعا للمستوى الذى تمثله فى رأيه .

ولم يكن من المستوى ـ والحال هذه ـ إغفال كل ما يتصل بالمستوى الثانى ، ويصدر عنه ، وإن كان الميل والهوى إلى هذا الإغفال ، فوصلنامنه قدر لايستهان به ، ووجدنا الاتجاه إلى الاعتداد بكل ما صدر عن العرب فى عصور الاحتجاج دون تمييز بينهم يقوى عند المتأخرين .

على أننا ونحن نتحدث عن كثير مما أهمل من المستوى الثانى . لاننسى أن كثيرا من كلام العرب قد ضاع ، لم يصل إلى الرواة ، أو لم يصلوا هم إليه ، فأبو عمرو بن العلاء يقول : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » ويقول ابن جنى معلقا : « فهذا ما تراه ، وقد روى فى معناه كثير[٢] » ، وابن فارس يعقد « باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها ، وأن الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله[٣] » ، ثم إن كثيرا مما وصل إليه الرواة ودونوه عصفت به الأيام ودولاتها ويستوى فى هذا ما كان من اللغة المشتركة ، وما انفردت به قبيلة ما . وكثير مما انتهى إلينا لما يفحص ويدرس بعد ، ليستخرج منه كل ما يتصل باللهجات ، ويفيدنا فى تعرفها .

---

(١) الصاحبى .. ٢١ ط الحلبى .

(٢) الخصائص ٣٨٦/١ والمزهر ١٤٨/١ ط صبيح .

(٣) الصاحبى .. / ٥٨ ومابعدها .

كيف نكتشف ظاهرة لهجية فى التراث :

تحفل كتب التراث بكثير من ظواهر الاختلاف فى العناصر اللغوية ، فى الأصوات والحروف ، وفى المفردات: صيغة ومعنى ، وفى قواعد التراكيب ونظامها ، وفى ألوان التعبير وطرائقه .

وتختلف الآراء وتعدد الأنظار فى الحكم على هذه الظواهر كلها أو بعضها ، وفى تفسيرها ، أنعدها لهجات ؟ أو هى من قبيل التطور فى اللفظ أو المعنى ؟ أو هى أخطاء وقع فيها العرب ، أو الرواة ؟ أو هى من توسع العرب فى الكلام وتفننهم فيه ؟ أو هى من اختلاق بعض العلماء والرواة طلبا للغلب فى ميدان الجدل والحجاج ؟ وعلى أى الأسس نفرق بين ما هو لهجة ؟ وبين ما لا يعد من قبيلها ؟ .

لقد درج اللغويون : رواة أصحاب معاجم وغيرهم على ذكر هذه الظواهر على أنها جميعها من العربية ، وأحيانا ما يشيرون إلى أصحاب ظاهرة ، أو استعمال خاص ، ويقع هذا نادرا بالنسبة إلى ما لم ينص على أصحابه ، وكثيرا ما نجد مثل : « وقال بعض العرب : قال فلانة » ، « واعلم أن من العرب من يقول: ضربونى قدمك » ، « وسمعنا بعض العرب يقول : الحمد لله رب العالمين — بنصب رب — فسألت يونس عنها فزعم أنها عربية » ، « وزعم يونس أن من العرب من يقول : النازلون بكل معترك ، والطيبين ، فهذا مثل والصابرين ، ومن العرب من يقول : الظاعنون والقائلين » ، « وروى الخليل رحمه الله أن ناسا يقولون : إن بك زيد مأخوذ » ، « وحدثنا من نثق به أنه سمع من العرب يغلطون فيقولون : إنهم أجمعون ذاهبون » ، « وسألته عن قوله : على كم جذع بيتك مبنى ؟ فقال : القياس النصب ، وهو قول عامة الناس ، فأما الذين جروا فإنهم أرادوا معنى من .. » « واعلم أن ناسا من العرب يعملونها — كم — فيما بعدها فى الخبر ، كما يعملونها فى الاستفهام ، فينصبون بها كأنها اسم منون » .

« وقد قال بعضهم : مارأيت بأحد إلازيدا خير منه - بخفض خير - وكذلك من لى إلازيدا صديقا ، ومالى أحد إلازيدا صديق .. وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالى إلا أبوك أحد .. » « وإذا قلت أتونى إلا أن يكون زيد ، فالرفع جيد بالغ ، وهو كثير فى كلام العرب » « وزعم أبو الخطاب أن العرب الموثوق بهم يقولون : أنا هذا ، وهذا أنا » « وحدثنا يونس أنه سمع من العرب من يقول : عليكنى من غير تلقين ، ومنهم من لايستعمل نى ولانا فى هذا الموضع استغناء بعليك بى ، وعليك بناعنى نى فى بناعن فى ونا ، وإياى وإيانا » .

« وقد جعل ناس كثير من العرب هو وأخواتها فى هذا الباب - ضمير الفصل - بمنزلة اسم مبتدأ ومابعده مبنى عليه ، فكأنك تقول أظن زيدا أبوه خير منه . .

فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول : أظن زيدا هو خير منك ، وحدثنا عيسى أن ناسا كثيرا يقرءونها : وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون . . » « وزعم الخليل رحمه الله أنه سمع عربيا يقول : ما أنا بالذى قائل لك شيئا (وهذه قليلة) ومن تكلم بهذا فقياسه : اضرب أيهم قائل لك شيئا » « وزعم يونس أنه سمع أعرابيا يقول : ضرب من منا ؟ وهذا بعيد لاتكلم به العرب ، ولا يستعمله منهم ناس كثير ، وكان يونس إذا ذكرها يقول : لايقبل هذا كل أحد[1] » .

وقد نجد منهم من يقول : أو الذين يقولون كذا ، أو فى لغة ، أو عند جماعة وما إلى هذا .

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣٨/٢ و ٤٠ و ٣٠ و ٦٥ و ١٣٤ و ١٥٥ و ١٦٠ و ١٦١ و ٣٣٧ و ٣٤٩ و ٣٥٤ و ٣٦١ و ٣٩٢ و ٤٠٤ و ٤١١ .

قد نجد مثل : « الذعاق بمنزلة الزعاق قال الخليل : سمعناه فلا ندرى ألغة هى أم لثغة »[1] فإذا كان الخليل لا يدرى اللغة من اللثغة فأحر بمن بعده ألا يدرى ، وقد كتب الأب أنستاس مارى الكرملى مقالا سماه « اللغات واللثغات »[2] فجمع بينهما ، دون أن يميز هذه من تلك

ووجدنا بعض ما قد يعد من اللهجات كالأبدال اللغوى ، والقلب ، والترادف ، والتضاد ومنهم من ينكر وجوده فى العربية ، ومنهم من يجعل كل ما أتى من ذلك ونحوه لغات . ومنهم من يجعل بعضه لغات ، وبعضه من قبيل التطور فى اللفظ أو المعنى حين يتأتى له تفسير هذا التطور .

ووجدنا د / إبراهيم أنيس وقد نهج فى معالجته للظواهر اللهجية أن قسم القبائل العربية قسمين : حضرية وبدوية ، وطبق عليها قوانين الأصوات وتطورها ، أو قل أخضع الظاهرة للقوانين الصوتية ، وحين تتعارض الرواية مع ماتقرره هذه القوانين كان يميل إلى إنكار الرواية ، أو التشكيك فيها ، فقبل بعضا من الروايات وافق القوانين ، ورفض بعضا خالفها ، وليس من الأنصاف إذا صحت الرواية أن تردها ، وتعددها لا يعنى كذبها .

والحق أن القوانين الصوتية إذا صلحت لتفسير ظاهرة ما فإنها لا تجعلها لازمة ، وهى مرنة قابلة لتفسير الشىء وضده ، ولا تجعل وقوع أحدهما أكثر احتمالا من الآخر ، وهى بذلك لا يمكنها أن تحكم أو تحدد أن ظاهرة ما حدثت عند هذه القبيلة لا تلك .

والحق أيضا أنه لا سبيل لنا الآن إلى القول بلهجة من اللهجات ، أو بظاهرة

---

(٢) العين ١٦٨ .

(٣) مجلة المشرق س ٦ ع ١٢ ، ١٣ سنة ١٩٠٣ .

لهجة ما إلا عن طريق الرواية ، ثم يبحث بعد ذلك فى الحدود التى تشملها الرواية ، وعما إذا كانت من قبيل التطور العام فى اللغة ؟ أو الخاص فى لهجة قبيل معين ؟ أوهى ضرب من الانحراف ؟ أو غير ذلك مما يؤدى إلى وجود مثل هذه الظاهرة ، فنحن نسلم أولا وجودها ، ثم نبحث بعد ذلك عن حدودها وتفسيرها ، لا أن نتوقف لنرى هل تخضع للقوانين الصوتية فنعترف بها ؟ أو تشذ عنها فننكرها ونردها ؟ على أننا إذا رددناها فإنه لن يبقى للبحث فيها مجال ، ولا نحتاج إلى القوانين بعد ذلك . وعندما نقبل اللهجة أو الظاهرة على هذا النحو لا يضير بعد ذلك أن تتعدد الآراء فى الكشف عن مسبباتها ، وطرق تفسيرها .

ثم هناك أمر آخر ، وهو أن الأمثلة التى تذكر للجهة من اللهجات معدودة محدودة ، يكررها الخلف عن السلف ، فهل نقتصر عليها عند دراسة لهجة ما؟ أو نعدها مجرد أمثلة فنضم إليها ماماثلها ؟ الرأى أن تعالج على أنها أمثلة يحمل عليها ما شابهها ، فإذا وجدنا مثلا العنعنة عند تميم يجعلون الألف فى بعض المواضع عينا ، ووجدنا بعد ذلك طائفة من الكلمات جاءت بالألف والعين قلنا إن ماجاء بالعين هو لهجة تميم واستعمالهم ، وما جاء بالألف لغة غيرهم ، ولعل مما يرجح هذا المأخذ أنه لم يكن من وكد رواة اللغة وأصحاب المعاجم حصر ماورد من لهجة ما ، أوالتزام الإشارة إليها ، والنص عليها ، بل كان اتجاههم إلى إغفال اللهجات ، والتقليل من خطرها .

ثم إن الاختلاط الشديد بين القبائل عمل على إذابة كثير من الفوارق بين لهجة وأخرى ، وأخذ كل فريق عن الآخر بعضا مما عنده ، قليلا كان أو كثيرا ، وأصبح كثير مما كان فى الأصل من استعمال هؤلاء أو هؤلاء مادة للغة المشتركة ، التى يتفاهم بها الجميع ، كما أن اللغة قد دونت ولما تكتمل كل نتائج هذا الاختلاط والتبادل ، فاشتملت على عناصر من كل اللهجات .

ثم هل نتوقف فى البحث عن الظواهر اللهجية على ما جاءت به الرواية وما حمل عليه ؟ أو نتجاوز ذلك إلى غيره ؟ الرأى أن كل اختلاف فى العنصر اللغوى لفظا أو معنى هو مظنة لاستعمال لهجى ، وعلينا أن نفترضه كذلك وندرسه على مقتضاه حتى يثبت لنا غيره . وربما كان ابن جنى يرى هذا الرأى حين تحدث عن العربى يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا وقال :

« وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة إنسان واحد فإن أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفا منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ فى المعنى الواحد على ذلك كله ، هذا غالب الأمر ، وإن كان الآخر فى وجه من القياس جائزا » ثم قال بعد .

« وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات ، اجتمعت لإنسان واحد ، من هنا ومن هنا ، ورويت عن الأصمعى قال :

اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما الصقر (بالصاد) وقال الآخر : السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه ، فقال : لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر أفلاترى إلى وكل واحد من هؤلاء الثلاثة كيف أفاد فى هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها ؟ وهكذا تتداخل اللغات [1] .

---

(١) الخصائص ١/٣٧٣ ، ٣٧٤ .

الباب الثاني

الظواهر اللهجية في العربية — دراسة تطبيقية

تمهيدان : الأول : فيما في اللغة العربية المشتركة ولهجاتها من أصوات وحروف وحركات .

الصوت والحرف:

نذكر بالفرق بين الصوت والحرف ، فالصوت أصغر وحدة لغوية تنطق في تركيب لغوي ، وهو بذلك صورة نطقية لفظية للحرف ، تختلف من موقع لآخر ، وهو وحدة الكلام ، ولا يندرج تحته غيره .

والحرف أصغر وحدة لغوية تدخل في تكوين كلمة في عرف جماعة لغوية ما ، وهو بهذا قد يضم صورا صوتية متعددة ، ولكنها متداخلة مختلطة متصلة حتى لم يجر عرف المتكلمين بها على تحديد قيمة للفروق بين هذه الصور ، ومن ثم فقيمتها جميعا واحدة ، وهي صورة مجردة ، أو ذهنية ، وهو وحدة اللغة ، أو هو أصغر وحدة لغوية تنطق مفردة حسب عرف جماعة ما ، ويشمل بذلك نطق الحروف منفردة إذا حاولنا نطقها بحسب المخارج والصفات التي حددها علماء اللغة .

فالنون مطلقا حرف ، ولكنها في : منهم ، من ولي ، من رسول ، من يوالهم ، من شاء ، من لدنا ، انبعث ، اركب معنا ، أصوات ، والفتحة مطلقا حركة أو حرف ، ولكنها في فهم وفاهم طويلة وقصيرة ، خالصة وبحالة إمالة صغرى أو كبرى أصوات .

والشأن ألا يترتب على الاختلاف في الصوت من أصوات الحرف

اختلاف فى المعنى فالذى ينطق النون فى انبعث دون إقلاب ، وفى من رسول دون إدغام وفى من ولى دون إدغام وغنة يجانب النطق الصحيح ، ولكن المعنى يظل كما هو ، والشأن فى الصوت أيضاً ألا يحل محل صوت آخر ينتدرجان معا تحت حرف واحد ، بينما الشأن فى الحرف أن يترتب على تغيره تغير المعنى ، وهو قابل للحلول محل غيره من الحروف .

جرب أن تنطق النون فى منهم كما تنطقها فى انبعث ، وفى من رسول كما تنطقها فى من ولى فلا تجد أحد هذه الأصوات يحل محل الآخر فى النطق الصحيح ، وإذا حدث خطأ من ناطق فإن المعنى لا يتغير ، وإذا قلت نصر يمكنك أن تستبدل بالنون غيرها بسهولة ، فتقول : أصر ، بصر ، حصر ، عصر ، قصر ، هصر . . . وفى كل يتغير المعنى . والأصوات بهذا المفهوم فى حاجة إلى النطق والسماع لمعرفة ما قد يكون فيها من خصائص لهجية ، ولكن لنا من الحروف والحركات الفرعية أدلة هادية إلى بعض هذه الخصائص على مستوى الأصوات ، فالظاهر أن هذه الحروف نشأت عن الاختلافات الملحوظة بوضوح فى نطق الحروف والحركات الأصلية ، وحيث شاع النطق واشتهر عـــد الحرف فرعا مستحسنا وحيث قل عد مستقبحا أو مستهجنا ، والأولى أن تعد هذه جميعها أصواتا لا حروفا .

الحروف (الأصوات) الفرعية :

والحروف الفرعية المستحسنة عند سيبويه هى : « النون الخفيفة - أو الخفية - والهمزة التى بين بين ، والألف التى تمال إمالة شديدة والشين التى كالجيم ، والصاد التى تكون كالزاى ، وألف التفخيم ، يعنى بلغة أهل الحجاز فى قولهم : الصلاة والزكاة والحياة[1] » .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٢ تحقيق : هارون وانظر : سر صناعة الإعراب : ١/٥١ .

وزاد ابن الحاجب لام التفخيم ، وحذف ألف التفخيم ، وعد همزة بين بين ثلاثة أحرف ، فالمستحسنة عنده ثمانية[1] وفى « الممتع » المنسوب لابن عصفور زيادة سين كالزاى وجيم كالزاى ؛ فجملة الحروف المستحسنة على هذا أحد عشر حرفا هى :

١ - ٣ همزة بين بين (ثلاثة : بينها وبين الفتحة أو الكسرة أو الضمة)

٤ - ألف الإمالة

٥ - ألف التفخيم

٦ - جيم كالزاى

٧ - سين كالزاى

٨ - صاد كالزاى

٩ - شين كالجيم

١٠ - لام التفخيم

١١ - النون الخفية مثل نون عنك

والحروف الفرعية غير المستحسنة عند سيبويه :

« الكاف التى بين الجيم والكاف ، والجيم التى كالكاف ، والجيم التى كالشين والضاد الضعيفة ، والصاد كالسين ، والطاء كالتاء ، والظاء كالثاء ، والباء كالفاء[2] » .

والمستحسنة عند سيبويه : كثيرة يؤخذ بها ، وتستحسن فى قراءة والأشعار ، وغيرها « غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من ترتضى عربيته . ولا تستحسن فى قراءة القرآن . ولا فى الشعر ، وجميعها « لا تتبين إلا بالمشافهة »[2] .

---

(١) أنظر : شرح الرضى على الشافية ٣/٢٥٤ - ٢٥٧

(٢) الكتاب ٤/٤٣٢ .

وزاد ابن الحاجب الفاء كالباء ، وقال عن الجيم كالكاف وكالشين إنهما لا يتحققان ، وفى الممتع زيادة الكاف كالجيم .

وجملة الفروع غير المستحسنة على هذا أربعة عشر حرفا هى .

١ - الباء كالفاء ٢ - الفاء كالباء

٣ - الجيم كالشين ٤ - الجيم كالكاف

٥ - الكاف كالجيم ٦ - الشين كالزاى

٧ - الصاد كالسين ٨ - الضاد الضعيفة

٩ - الطاء كالتاء ١٠ - الظاء كالثاء

١١ - القاف بين القاف والكاف

١٢ - الكاف بين الكاف والجيم

١٣ - الواو كالياء ١٤ - الياء كالواو

وقد ذكر ابن سينا مجموعة من الحروف قال إنها ليست فى لغة العرب ، ولكن بعضها مذكور فى الحروف الفرعية ، والحروف هى :

الكاف الخفيفة ، الجيم الفارسية . الزائية ، السينية ، الصادية ، السين الصادية السين الزائية ، الزاى السينية ، الراء الغينية ، الراء اللامية ، الزاى الظائية ، اللام المطبقة ، الفاء البائية ، الباء المشددة ، الميم والنون المقتصرتان على دوى الهواء فى المنخر[1] .

---

(١) أسباب حدوث الحروف ، ص ٧ ، ط . المؤيد سنة ١٣٣٢ هـ

ونظن أن هذه الحروف الفرعية مستحسنها ومستهجنها كانت هى المعابر التى انتقلت عليها حروف إلى حروف أخرى ، وأنها مسئولة عن كثرة مايعرف بالإبدال اللغوى فى العربية . فهناك مثلا باء وفاء وحرف بينهما ، هذا الحرف الوسيط يتيح تحول الباء إلى فاء والعكس ، أو لبعض العلماء أن يسمع الكلمة فيظنها بالباء ، ويسمعها آخر فيحسبها بالفاء . وتذكر الكلمة مرة بهذا الحرف ومرة بذاك ، وتكثر بذلك المادة اللغوية وهكذا يقال فى سائر الحروف والحركات . ويؤيد هذا أننا نجد التبادل غالبا بين هذه الحروف الفرعية الشبيهة و بين ما تشبهه من الأصول .

وهذا سيبويه يحدثنا عن أن العرب يبدلون من الحرف الفارسى الذى بين الكاف والجيم تارة الجيم وتارة القاف . وكذلك من الحرف الذى لا يثبت فى كلامهم آخرا إذا وصلوا ، ويبدلون مما بين الباء والفاء الباء تارة والفاء أخرى[1] .

الحركات (الأصوات الصائتة) الفرعية :

هذا عن الحروف غير الحركات ، أما عن الحركات — ونرى أن يدخل فيها . همزة بين بين . بدليل أنها لا تقع أولا ، وألف الإمالة ، وألف التفخيم — فقد حدثنا سيبويه وابن جنى عنها أحاديث كثيرة دقيقة .

فابن جنى يحدثنا عن أن الحركات ست : « أما ما فى أيدى الناس فى ظاهر الأمر فثلاث ، وهى الضمة والكسرة والفتحة ، ومحصولها على الحقيقة ست ، وذلك أن بين كل حركتين حركة ، فالتى بين الفتحة والكسرة هى الفتحة قبل الألف الممالة ، نحو فتحة عين عالم وكاف كاتب . فهذه حركة بين الفتحة والكسرة ، كما أن الألف التى بعدها بعد الألف والياء ، والتى

---

(١) أنظر : الكتاب ٤/٣٠٥ - ٣٠٧ .

بين الفتحة والضمة هى التى قبل ألف التفخيم ، نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة . وكذلك ألف قام وعاد والتى بين الكسرة والضمة ككسرة قاف قيل ، وسين سير ، فهذه الكسرة المشمة ضما ، ومثلها الضمة المشمة كسرا . كضمة قاف المنقر . وضمة عين مذعور وباء ابن بور ، فهذه ضمة أشربت كسرا .. ويدل على أن هذه الحركات معتدات اعتداد سيبويه بألف الإمالة وألف التفخيم حرفين غير الألف المفتوح ماقبلها[١] » .

ويحدثنا عن مطل الحركات وإشباعها ، وأن العرب حين تفعل ذلك تنشىء عن الحركة حرفا يجانسالها ألف المد عن الفتحة ، وياءه عن الكسرة وواوه عن الضمة ، فمن مطل الفتحة . منتزاح ، ينباع ، ومن مطل الكسرة الصياريف والجلاعيد ، ومن مطل الضمة : أنظور ، قرنفول ، ويسمى ابن فارس هذا بالبسط ، كالعقراب فى العقرب ، ويرقود فى يرقد ، والفرقود فى الفرقد([٢]) .

ويحدثنا ابن جنى عن مطل الحروف ، ويقصد زيادة الطول فى حروف المد قبل الهمزة والحرف المشدد . وعند الوقف فى التذكر .

ويحدثنا عن تقصير الحركة تحت عنوان : « باب فى إنابة الحركة عن الحرف والحرف عن الحركة ، مثل :

كفاك كف لا تليق درهما   جودا وأخرى تعط بالسيف الدما

وأخوا لغوان متى يشأ يصر منه – دوابى الأيد يخبطن السريحا

ويمح الله الباطل ، يوم يدع الداع ، سندع الزبانية

ألا لا بارك الله فى سهيل ويسمى ابن فارس هذا القبض فى مقابلة البسط ،

---

(١) الخصائص ٣/١٢٠ - ١٢١ .

ويعد منه الخلخل بدل الخلخال ، والمنا بدل المنازل ، والحبا بدل الحباحب ، ومال بدل مالك(١) .

وهناك حديث طويل عن زيادة التقصير ودرجاته إلى حد تختفى معه الحركة ويظن أن الحرف ساكن ، وذلك فى الكلام عن : الروم والإشمام والاختلاس ، وذكر علماء القراءة والأداء الإضعاف أو الإهماس .

فالروم : تضعيفك أى تقليلك الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فتسمع صوتا خفيا يدركه السامع وإن كان أعمى ، ولا يدركه الأصم وإن كان بصيرا . والثابت فيه أقل الحركة ، ويختص بالوقف وبالآخر ، ولا يكون فى الفتح عادة عند القراء ، ويكون فيه عند النحاة ، والقراء يتبعون النقل .

والاختلاس : كالروم لكن بدرجة أقل ، ويكون فى الوصل ، ويختص به ، والثابت من الحركة ثلثاها ويكون فى الحركات جميعها .

والإشمام : فى الحركات : أن تجعل شفتيك بتسكين الحرف على صورتها إذا نطقت الضم فى الوقف على المضموم ، وأن تخلط حركة بحركة كما فى قيل وغيض ، أو سكونا بحركة كما فى لاتأمنا .

والإشمام فى الوقف على المضموم لايدركه إلا البصير وإن كان غير سميع ، فلا يدركه من لا يبصر وإن كان سميعا ، قال سيبويه : « فأما الذين أشموا فأرادوا أن يفرقوا بين مايلزمه التحريك فى الوصل ، وبين ما يلزمه

---

(١) الصاحبى ٢٨٠ - ٢٨٣ .

الإسكان على كل حال .. فأما الإشمام (فى الفتحة والكسرة وقفا) فليس إليه سبيل ، وإنما كان ذلك فى الرفع ، لأن الضمة من الواو . فأنت تقدر أن تضع لسانك فى أى موضع من الحروف شئت . ثم تضم شفتيك : لأن ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسدك واشمامك الرفع للرؤية ، وليس بصوت للأذن . . »[1].

والهدف من الإشمام والروم واحد ، وهو الإشارة إلى الحركة التى ذهب بها الوقف ، والتفريق بين السكون العارض له والسكون الأصلى ، إلا أن أصحاب الروم أشد توكيدا كما يقول سيبويه :

ويمكننا أن ندخل الإشمام فى الحركات فى غير الوقف . تحت الإمالة ، فهو كسرة ممالة نحو الضمة أو العكس .

وعندما نراعى المد بدرجاته ـ القصر والتوسط والإشباع ـ والتقصير ، والروم والاختلاس والإشمام والإمالة يتحصل لدينا مجموعة كبيرة من الحركات نراها طرائق كانت تختلف على ألسنة القبائل فى نطقها ، فعندنا الحركات الثلاث الأصلية قصيرة وطويلة فهذه ست ، وإلى جانبها .

ثلاث مضعفة أو مهمسة تكون فى الروم وثلاث مختلسة وثلاث ممدودة وهذه تتفاوت فى كمية المد . ثم عندنا من الفتحة :

فتحة ممالة إلى الكسر قليلا ، وأخرى ممالة نحوه كثيرا . وفتحة ممالة إلى الضم وفتحة قصوى يفتح لها الفم إلى أقصى حد .

وعندنا كسرة ممالة إلى الضم ، وضمة ممالة إلى الكسر ، وضمة صورية تكون فى الوقف على المضموم بالإشمام .

ويمكننا أن نرتب تدرج الفتحة مثلا هكذا من القصر إلى الطول . ومن الخلوص إلى الإمالة :

---

(١) الكتاب ١٦٩/٤ ، ١٧١ ـ تحقيق : هارون .

فتحة مضعفة أو مهمسة (فى الروم) فتحة مختلسة فتحة قصيرة فتحة طويلة فتحة ممدودة فتحة قصوى / فتحة ممالة إلى الكسرة قليلا (إمالة صغرى) فتحة ممالة إلى الكسر كثيرا (إمالة كبرى) ، فتحه ممالة إلى الضم . ومثل هذا فى الكسرة والضمة .

والذى ندعيه أن هذه الصور من الحركات كانت ألوانا من الأداء تعكس اختلاف القبائل العربية فى نطق هــذه الحركات ، أو قل هى الأصوات المختلفة لهذه الحركات وعن طريقها يمكننا أن نفسر الراويات العديدة التى تأتى فى كلمة واحدة بضبطين أو أكثر . فبين الفتحة والكسرة حركتان إحداهما أقرب إلى الفتحة والثانية أقرب إلى الكسرة ، ويكون الانتقال عن طريقهما من الفتحة إلى الكسرة أو العكس انتقالا طبعيا لاغرابة فيه ، وكذلك يكون الانتقال من الفتحة إلى الضمة أو من الضمة إلى الكسرة أو العكس عن طريق الحركات الوسيطة أمرا معتادا . وطريقا مهيعا لاحبا وكذلك الانتقال من الحركة إلى السكون عن طريق الاختلاس والروم وإجراء الوصل مجرى الوقف ولولا أن هذه الحركات كانت مألوفة على ألسنة العرب ، واضحة الفروق بينها ، ملموسة حدودها ما التفت إليها العلماء ، وماسجلوها بهذه الدقة البالغة .

أما أن هذه أمور ترجع إلى اللهجات فذلك واضح من معالجة الأوائل لهـا وهذا سيبويه يعقد « باب الإشباع فى الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هى » يقول :

« وأما الذين يشبعون فيمططون ، وعلامتها واو وياء . وهذا تحكمه لك المشافهة ، وذلك قولك : يضربها ، ومن مأمنك (يقصد أنهم ينطقون : يضربوها ، من مأمنيك) .

وأما الذين لايشبعون فيختلسون اختلاسا وذلك قولك : يضربهـا ،

ومن مأمنك يسرعون اللفظ (يقصد اختلاس ضمة الباء وكسرة النون فتبدوان كأنهما ساكنتان) ومن ثم قال أبو عمرو : « إلى بارئكم » ويدلك على أنها متحركة قولهم من مأمنين فيبينون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون . . . وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور فى الشعر .
وقد يسكن بعضهم فى الشعر ويشم: وذلك قول الشاعر امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب ، إثما من الله ولا واغل . .

وفى « باب الوقف فى آخر الكلم المتحركة فى الوصل التى لاتلحقها زيادة فى الوقف » يقول :

« فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه : بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن ، وبأن تروم التحريك ، وبالتضعيف :

فأما الذين أشموا فأرادوا أن يفرقوا بين مايلزمه التحريك فى الوصل ، وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال .

وأما الذين لم يشموا . . وأما الذين راموا الحركة . . وأما الذين ضاعفوا الحركة(١) » .

وواضح أن كلا من الاشمام والروم والاختلاس والاشباع صنيع فريق من العرب ، وإن لم يعين ، أى أنها ظواهر لهجية ، ويمكن أن يحمل عليها ما شابهها وينضم هذا وأمثاله دليلا إلى ما ارتأيناه آنفا ، من البحث عن الظاهرة اللهجية حيث وجدنا اختلافا فى العنصر اللغوى لفظا أومعنى(٢) .

---

(١) الكتاب : ١٦٨/٤ ومايليها ، ٢٠٢ - ٢٠٤ تحقيق هارون .
(٢) ص :

الثانى : طرف من حديث السلف عن اللهجات ، ومنهجهم فى دراستها :

نستعرض نصين يوضحان كيف عالج القدماء الظواهر اللهجية ، وكيف تناولوها فى دراساتهم اللغوية حين عرضوا لها ، وطرفا من منهجهم فى ذلك ، وإن كان فيهما شيء من طول إلا أنهما يفيدان فى طريقة ، تعرف الظواهر اللهجية وتتبعها فى مظانها من كتب اللهجات . إلى جانب المنهج والتناول ، والتعريف ببعض اللهجات إجمالا .

والأول للفراء قال : « كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام ، وتحج البيت فى الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ، ومستقبح الألفاظ ، من ذلك :

الكشكشة : وهى فى ربيعة ومضر ، يجعلون بعد الكاف فى المؤنث شينا ، فيقولون : رأيتكش ، وبكش ، وعليكش ، فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها فى الوصل أيضا ، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ، ويكسرها فى الوصل ، ويسكنها فى الوقف ، فيقول : منش ، وعليش . ومن ذلك :

الكسكسة : وهى فى ربيعة ومضر ، يجعلون بعد الكاف ، أو مكانها فى المركز سينا على ما تقدم ، وقصدوا بذلك الفرق بينهما . ومن ذلك :

الشعنعنة : وهى فى كثير من العرب فى لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون فى أنك : عنك ، وفى أسلم : علم ، وفى أذن : عذن : ومن ذلك :

الفحفحة : فى لغة هذيل يجعلون الحاء عينا ، ومن ذلك .

الوكم : فى لغة ربيعة ، وهم وقوم من كلب ، يقولون : عليكم وبكم — بكسر الكاف — حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة ، ومن ذلك :

الوهم : فى لغة كلب ، يقولون : منهم وعنهم وبينهم — بكسر الهاء — وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة . ومن ذلك :

العجعجة : فى لغة قضاعة ، يجعلون الياء المشددة جيما ، يقولون فى تميمى ، تميمج . ومن ذلك :

الاستنطاء : فى لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار ، يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ، كأنطى فى أعطى ومن ذلك :

الوتم : فى لغة اليمن ، تجعل السين تاء ، كالنات فى الناس ، ومن ذلك :

الشنشنة : فى لغة اليمن ، تجعل الكاف شينا ومطلقا ، كلبيش اللهم لبيش ، أى لبيك .

ومن العرب من يجعل الكاف جيما ، كالجعبة يريد الكعبة[1] .

والنص الثانى لابن فارس ، قال : « اختلاف لغات العرب من وجوه » :

أحدهما : الاختلاف فى الحركات كقولنا : نستعين ، ونستعين بفتح النون وكسرها ، قال الفراء . مفتوحة فى لغة قريش وأسد ، وغيرهم يقولونها بكسر النون .

والوجه الآخر : الاختلاف فى الحركة والسكون ، مثل قولهم . معكم ومعكم - بفتح العين وكسرها . أنشد الفراء .

---

(١) المزهر ١/١٢٣ - ١٢٤ صبيح وانظر : الصاحبى ٣٥/٠٠ وما يليها

ومن يتق فإن الله معـــه ورزق الله مؤتاب وغاد

ووجه آخر : وهو الاختلاف فى إبدال الحروف ، نحو : أولئك وألا الك ،أنشد الفراء :

ألا الك قومى لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل إلا ألا الكا

ومنها : قولهم : أن زيدا ، وعن زيدا .

ومن ذلك : الاختلاف فى الهمز والتليين ، نحو : مستهزئون ومستهزون

ومنه : الاختلاف فى التقديم والتأخير ، نحو : صاعقة وصاقعة .

ومنها : الاختلاف فى الحذف والإثبات ، نحو : استحييت واستحيت ، وصددت وأصددت .

ومنها : الاختلاف فى الحرف الصحيح يبدل حرفا معتلا ، نحو : أما زيد ، وأيما زيد .

ومنها : الاختلاف فى الإمالة والتفخيم فى مثل : قضى درمى ، فبعضهم يفخم ، وبعضهم يميل .

ومنها : الاختلاف فى الحرف الساكن يستقبله مثله ، فنهم من يكسر الأول ، ومنهم من يضم ، فيقولون : اشتروا الضلالة ، واشتروا الضلالة ـ بكسر الواو ، وضمها ـ

ومنها : الاختلاف فى التذكير والتأنيث ، فإن من العرب من يقول : هذه البقر ، ومنهم من يقول : هذا البقر ، وهذه النخيل ، وهذا النخيل .

ومنها : الاختلاف فى الإدغام ، نحو : مهتدون ومهدون ـ بتضعيف دال مهدون ـ

ومنها : الاختلاف فى الإعراب ، نحو مازيد قائما ، وما زيد قائم .

وإن هذين ، وإن هذان ، وهي بالألف لغة بني الحارث بن كعب ، يقولون في كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك ، وينشدون :

تزود منا بين أذناه ضربة   دعته إلى هابي التراب عقيم

.... ومنها :

— الاختلاف في صورة الجمع ، نحو : أسرى ، وأسارى .

ومنها :

— الاختلاف في التحقيق والاختلاس ، نحو : يأمركم ، ويأمركم ، وعفي له ، وعفي له[1] .

ومنها :

— الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث . مثل : هذه أمة ، وهذه أمت .

ومنها :

— الاختلاف في الزيادة ، نحو : أنظر ، وأنظور . أنشد الفراء :

الله يعلم أنا في تلفتنا   يوم الفراق إلى جيراننا صور
وأنني حيث مايثني الهوى بصري   من حيث ماسلكوا أدنو فأنظور

وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها ، لكن هذا موضع اختصار وهي وإن كانت لقوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل .

ومن الاختلاف التضاد ، وذلك قول « حمير » للقائم : ثب ، أي : اقعد ... والوثاب الفراش بلغة حمير[2] ... .

---

(١) بتحقيق ضمة الراء وكسرة الفاء واختلاسهما .

(٢) الصاحبي : ٢٨ — ٣٢ .

وهكذا سار القدماء فى دراسة اللهجات — أو اللغات فى اصطلاحهم — يحددون ما تنفرد به قبيلة أو مجموعة قبائل عن اللغة المشتركة بين سائر العرب، سواء كان ما انفردوا به صوتا أم صيغة ،أم معنى — أم أمرا يمس نظام الجملة وقواعد الإعراب ، وقد يسمون ما وقع فيه الانفراد . فيضعون له مصطلحا يدل عليه ، وقد لا يفعلون ، وهذا هو الغالب ، وقد يعرفون من يفعل ذلك من العرب فينسبونه إليه على خلاف كثير يجرى فى هذه النسبة، وقد لايعرفون فيكتفون بذكر موضع الانفراد ، وهذا هو الغالب .

وكثيرا ما تنسب هذه الظواهر إلى بعض العرب دون تعيين ، وكل يؤدى ما وصل إليه علمه .

وعرض اللهجات وإخراجها وتحديدها على النحو الذى سار عليه « الفراء » أقرب إلى باب النادرة والملحة والطرفة . وقد سار على ذلك بعض المحدثين مثل العلامة : أحمد تيمور ، والأب: أنستاس مارى الكرملى، والأستاذ: مصطفى صادق الرافعى[١] . وهو ما نجده يتردد كثيرا فى دراسة اللهجات قديما وحديثا : أن يذكر اسم اللهجة . - إن وجد - وتنسب إلى أصحابها - إن عرفوا - ويمثل لها .

ويكون هذا دائما مقصورا على عنصر واحد فى حركة أو حرف .

وتناولها على النحو الذى عند « ابن فارس » يوسع دائرة الدراسة لتشمل كل اختلاف لغوى فى اللفظ أو المعنى ، فى حركة ، أو حرف ، أو صيغة ، أو تركيب ، فهى جميعا من وجوه الاختلاف بين لغات العرب

---

(١) ظ : لهجات العرب : أحمد تيمور — المكتبة الثقافية ع ٢٩٠ — اللغات واللثغات مجلة المشرق س ٦ — ١٩٠٣ م — ع : ١٢ ، ١٣ — الكرملى — تاريخ آداب العرب للرافعى ج / ١ .

ولهجاتها ، وتعد الظاهرة عندئذ منطلقا لدراسة اللهجة ، فتجمع كل ما يقع تحتها ، وإن لم يفعل هو ذلك ، وعلى أساس الظاهرة اللهجية قامت دراسة د / إبراهيم أنيس للهجات ، وتبعه كثيرون .

وهناك اتجاه آخر قدم « السيوطى » محاولة فيه ، حين جمع طائفة كبيرة من الألفاظ وغيرها مما تفترق فيه لهجة تميم عن لهجة الحجاز ، ووازن بينهما .

وهنا تقوم الدراسة أساسا على الناطقين ، لا على المنطوق ، فمحاولة تقصى الظواهر الخاصة التى تنسب إلى قبيلة معينة ، ودراستها على أنها جميعا لهجة هذه القبيلة وموازنة ماعندها بما عند الآخرين اتجاه وضع « السيوطى » فيه رسما ، وقدم محاولة وتجربة(١). وعلى ماقدمه السيوطى وجمعه اعتمد د / صبحى الصالح فيما كتب عن لهجة تميم(٣).

ومنهج « السيوطى » أقرب إلى اتجاه المحدثين فى دراسة اللهجات من منهج « الفراء » و « ابن فارس » والقدماء عامة .

وهناك اتجاه آخر عند الأستاذ « حفنى ناصف » ، إذ نجده حاول ربط اللهجات العامية الحديثة باللهجات العربية القديمة ، وقد ذكر أنه قام بذلك بإشارة بعض المستشرقين وتوجيههم(٢) . وبهذا قدم محاولة لدراسة الظاهرة أو اللهجة تاريخيا ، بربط ما هى عليه الآن بما كانت عليه عند العرب الأول كما وصلنا فى التراث ، مرتبطة بأصحابها ما أمكن ، وإن كانت دراسته

---

(١) ظ : المزهر - النوع (٤٠) ٢ / ١٧٥ — ١٨٧ ط : صبيح .
(٢) ظ : دراسات فى فقه اللغة — ٦٦ — ١٠٦ ط ٢ — بيروت ١٩٦٢ م .
(٣) ظ : ص ٢٢ — ٢٣ هنا ، ومميزات لغات العرب له .

موجزة مختصرة وهذه جميعا اتجاهات لها قيمتها ، كما كان لها مقتضياتها التى أفرزتها ، وعلى دارس اللهجات أن يستفيد منها جميعا .

والاتجاه الحديث فى دراسة اللهجات أن يتوافر الباحث على دراسة لهجة قبيلة بعينها ، أو مجموعة قبائل مترابطة لغويا ، فيجمع كل ما يمكنه من عناصر هذه اللهجة وظواهرها التى احتفظت بها كتب التراث ، ويقدم دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية — بالمفهوم الشامل للاجتماع — عن أصحابها ، ويحلل مادتها اللغوية ويصنفها إلى عناصرها ، ويدرسها من كل جوانبها . وفى مستوياتها المختلفة ، ويجتهد فى الكشف عن العوامل التى أثرت فيها ، واستنباط القوانين التى خضعت لها وحكمتها .

هذا فى الدراسات الخاصة ، والرسائل العلمية ونحوها ، أما فى المناهج الدراسية فلا يختص المنهج بدراسة لهجة واحدة ، وإنما يقوم غالبا على عرض مجموعة من العناصر والظواهر المنتشرة فى التراث ، عند قبيلة واحدة أو قبائل كثيرة ، أى أنها تعتمد فيها الظاهرة أساسا لا أصحابها ، وتتفاوت طرائق المعالجة بعد العرض تبعا لعوامل كثيرة من حدود المنهج ، وساعات الدرس وإمكان النشر ونحو ذلك ، وغالبها عوامل ليست من باب العلم .

وعلى الباحث أن يكون على ذكر من ذلك كله ، وأن يختار أصلح السبل لموضوع بحثه بما يوفيه حقه غير منقوص ، سواء اتبع منهجا مما أشير إليه هنا . أم جمع بين اثنين أو أكثر منها ، أم قدم هو منهجا جديدا يلائم المادة العلمية التى أتيحت له ، وليكن رائده الهدى النبوى : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

والله الموفق والمعين ، وهو سبحانه الهادى لأقوم السبل ، له الخيرة وهو بعباده خبير بصير ؟

المصادر والمراجع الواردة

١ - أبجد العلوم. حسن صديق القنوجى

٢ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد) ظ : العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب يوهان فك ترجمة د/ عبد الحليم النجار ص ١٩١ - ٢٠٧ ط . دار الكتاب العربى ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م .

٣ - الإحكام فى أصول الأحكام - ابن حزم - ط : السعادة : ١٣٤٥ هـ

٤ - أدب الكاتب - ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) ت . محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٤ السعادة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م .

٥ - ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة د : صالح الشماع - دار المعارف ١٩٧٣ م .

٦ - أسباب حدوث الحروف - ابن سينا ط : المؤيد : ١٣٣٢ هـ .

٧ - أسس علم اللغة - ماريو باى - ترجمة د. أحمد مختار عمر - منشورات جامعة طرابلس - ليبيا : ١٩٧٣ م .

٨ - إصلاح المنطق - ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن اسحاق) ت أحمد محمد شاكر .عبد السلام محمد هارون ط ٢ دار المعارف ١٣٧٥هـ١٩٥٦م.

٩ - الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس - ط . لجنة البيان العربى : ١٩٥٠ م .

١٠ - أطالس المأثورات الشعبية - د. محمود فهمى حجازى - مجلة الفنون الشعبية فبراير ١٩٦٨ م .

١١ - الأمثال العامية فى نجد محمد العبودى ط ١ دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م .

١٢ ـ البخلاء ـ الجاحظ (أبو عمرو عثمان بن محبوب) .

١٣ ـ البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ـ للقريزى .
ط : المحمودية التجارية ١٣٥٦ هـ .

١٤ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ت حسن السندوبى ط ـ ٢ الرحمانية ١٣٥١ هـ ٩٣٢ م .

١٥ ـ التاريخ العربى القديم ـ د . يتلف نيلسون ـ وآخرون . ترجمة د . فؤاد حسنين على ط . النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ م .

١٦ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د . جواد على ـ ط ـ المجمع العلمى العراقى ـ بغداد ١٩٥٩ م وما بعدها .

١٧ ـ تاريخ اللغات السامية ـ إسرائيل ولفنسون ـ ط : الاعتماد : ١٩٢٩ م .

١٨ ـ التطور اللغوى ـ د . عبد الرحمن محمد أيوب ١٩٦٩ .

١٩ ـ التطور التاريخى ـ د . إبراهيم السامرائى ط : الرائد ـ ١٩٦٦ م .

٢٠ ـ التعريفات ـ الشريف الجرجانى (على بن محمد) ط : الحلبى ـ ١٩٣٨ م .

٢١ ـ حاشية الشيخ عبادة ـ ظ . شرح شذور الذهب .

٢٢ ـ حاشية الشيخ يس ـ ظ : شرح التصريح على التوضيح .

٢٣ ـ حاشية الصبان ـ ظ : شرح الأشمونى على الألفية .

٢٤ ـ حركات التنقية اللغوية فى ضوء النحو بمعناه العام ـ د. عبد الفتاح السيد سليم ـ رسالة دكتوراه بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة .

٢٥ ـ الحضارات السامية القديمة ـ موسكاتى ترجمة د . السيد يعقوب بكر ـ ط . دار الكاتب العربى : ١٩٦٨ .

٢٦ ـ الخصائص ـ ابن جنى (أبو الفتح عثمان) ت : الشيخ : محمد على النجار ط . دار الكتب : ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ـ وما بعدها .
٢٧ ـ دراسات فى فقه اللغة ـ د صبحى الصالح ـ ط ٢٠ ـ بيروت : ١٩٦٢ م .
٢٨ ـ درة الغواص فى أوهام الخواص ـ الحريرى (أبو القاسم محمد على) ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط دار نهضة مصر ـ ١٩٧٥ م .
٢٩ ـ رسائل الجاحظ ت : عبد السلام محمد هارون
٣٠ ـ زهر الآداب ـ الحصرى (أبو إسحاق إبراهيم بن على) ت محمد محيي الدين عبد الحميد (مصور)
٣١ ـ سر صناعة الإعراب ـ ابن جنى ـ ت مصطفى السقا وآخرين ط (١) مصطفى الحلبى : ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ .
٣٢ ـ شرح الأشمونى (نور الدين أبو الحسن على بن محمد) على ألفية ابن مالك ط ـ دار إحياء الكتب العربية .
٣٣ ـ شرح التصريح على التوضيح (الشرح للشيخ خالد الأزهرى والتوضيح لابن هشام) ط . دار إحياء الكتب العربية .
٣٤ ـ شرح الرضى على الشافية (الشافية لابن الحاجب والشرح لنجم الدين محمد بن الحسن الرضى الاستراباذى) ت : محمد نور الحسن وآخرين ـ ط : حجازى .
٣٥ ـ شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ـ ابن هشام الأنصارى
٣٦ ـ الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ـ ابن فارس (أبو الحسين أحمد) ت : السيد أحمد صقر ط . الحلبى ١٩٧٧ م .
٣٧ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ القلقشندى ـ (أبو العباس أحمد بن على) مصور عن ط الأميرية .

٣٨ ـ صفة جزيرة العرب ـ الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد) دار الهلال.

٣٩ ـ العرب قبل الإسلام ـ جورجى زيدان ـ ت د. حسين مؤنس .

٤٠ ـ العقد الفريد ـ ابن عبدربه (أحمد بن محمد)
ط. العامرة الشرفية : ١٣١٦ هـ .

٤١ ـ علم اللغة د. على عبد الواحد وافى ط ـ ٤ ، نهضة مصر : ١٣٧٧ هـ
١٩٥٧ م .

٤٢ ـ العين ـ الخليل بن أحمد ـ ت : عبد الله درويش ج ١ ط . العانى
بغداد ١٩٦٧ م .

٤٣ ـ فقه اللغة العربية ـ د. إبراهيم محمد نجا ط ـ النيل ١٩٥٧ م .

٤٤ ـ فقه اللغة فى الكتب العربية ، د. عبده الراجحى ط. دار النهضة
العربية ، بيروت : ١٩٧٢ م .

٤٥ ـ فى اللهجات العربية ـ د . إبراهيم أنيس ط (٣) الفنية الحديثة :
١٩٦٢ م .

٤٦ ـ في علم اللغة العام ـ د. عبد الصبور شاهين ط. دار العلوم للطباعة
١٩٧٤ م .

٤٧ ـ القاموس المحيط ـ الفيروز ابادى (أبو طاهر محمد بن يعقوب) ،

٤٨ ـ القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ،
د. عبد الله خورشيد البرى ط دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .

٤٩ ـ قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، أحمد أمين .
ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ .

٥٠ ـ قاموس الكتاب المقدس ، مجموعة .

٥١ ـ قاموس عبري ـ عربي ـ د. فؤاد حسنين على ، فيلكس مزراحى

٥٢ ـ قبائل العرب فى مصر ، د. أحمد لطفى السيد .

٥٣ ـ القراءات واللهجات . عبد الوهاب حمودة ١٩٤٨ م .

٥٤ ـ قضايا لغوية . د. كمال بشر ط . الدار القومية ١٩٦٢ .

٥٥ ـ الكتاب ـ كتاب سيبويه (أبى بشر عمرو بن عثمان) ت : عبد السلام محمد هارون ، ط . دار القلم : ١٩٦٦ م وما بعدها .

٥٦ ـ الكتاب المقدس (العهد القديم) .

٥٧ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ـ التهانوى (محمد على بن على)

٥٨ ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ـ حاجى خليفة .

٥٩ ـ لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د. عبد العزيز مطر ط . الدار القومية ١٩٦٦ م .

٦٠ ـ لحن العامة والتطور اللغوى ، د. رمضان عبد التواب .

٦١ ـ اللسان والإنسان ، مدخل إلى معرفة اللغة د . حسن ظاظا ، ط . المصرى ، الإسكندرية ١٩٧١ م .

٦٢ ـ لسان العرب ، بن منظور ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم .

٦٣ ـ اللغة ج . فندريس ترجمة : عبد الحميد الدواخلى ، محمد القصاص ط . لجنة البيان العربى ١٩٥٠ .

٦٤ ـ اللغة الشاعرة . عباس محمود العقاد ط . مخيمر : ١٩٦٠ .

٦٥ ـ اللغة بين الفرد والمجتمع . أتو جسبرسن ترجمة د . عبد الرحمن محمد أيوب . ط . لجنة البيان العربى ١٩٥٠ م .

٦٦ ـ اللغة بين القومية والعالمية . د . إبراهيم أنيس ـ دار المعارف : ١٩٧٠ م .

٦٧ ـ اللغة والفكر ـ د. عثمان أمين ط. النهضة الجديدة ١٩٦٧ .

٦٨ ـ اللغة والمجتمع ـ رأى ومنهج ـ د. محمود السعران ط. دار المعارف : الإسكندرية ١٩٦٣ .

٦٩ ـ اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ـ ط . السعادة ١٩٥٧ م .

٧٠ ـ اللهجات العربية ـ د . عبد الله ربيع ـ عبد العزيز علام (لم يكمل) .

٧١ ـ اللهجات العربية الحديثة فى اليمن ـ د. مراد كامل ١٩٦٨ م .

٧٢ ـ اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ـ د . عبده الراجحى ١٩٦٨م .

٧٣ ـ لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ـ د. عبد العزيز مطر ١٩٦٧ م

٧٤ ـ لهجة شمال المغرب ـ تطوان وما حولها . د . عبد المنعم سيد عبد العال ١٩٦٨ .

٧٥ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أعداد متفرقة) .

٧٦ ـ مجمع اللغة العربية فى ٣٠ عاما ـ ماضيه وحاضره . ط . الهيئة العامة ١٣٨٣ هـ . ١٩٦٤ م .

٧٧ ـ مجمع اللغة العربية فى ٣٠ عاما . مجموعة القرارات العلمية ١٣٨٢ هـ . ١٩٦٣ م .

٧٨ ـ مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ج ٤ ، ١٥ ط. الهيئة العامة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

٧٩ ـ محاضرات فى اللغة د . عبد الرحمن محمد أيوب ط . المعارف ـ بغداد : ١٩٦٦ م .

٨٠ ـ محاضرات فى اللهجات العربية وأسلوب دراستها د. أنيس فريحة ١٩٥٥ م .

٨١ ـ المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ـ اغناطيوس هويدى ط. رومية ١٩٠٨ م.

٨٢ ـ مدرسة الكوفة د . مهدى المخزومى ـ ط (٢) الحلبى ١٩٥٨ م

٨٣ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ـ السيوطى ـ ط . صبيح .

٨٤ ـ المستطرف من كل فن مستظرف ـ الأبشيهى . شهاب الدين أحمد ط. المطبعة العامرة العثمانية ١٣٠٦ هـ.

٨٥ ـ المصباح المنير ـ الفيومى .

٨٦ ـ المعجم العربى ـ نشأته وتطوره ـ د. حسين نصار ط. دار الكتاب العربى ١٩٥٦ م .

٨٧ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ط . ٢ دار المعارف ١٩٧٢ م وما بعدها .

٨٨ ـ المعجمات العربية ـ ببليوجغرافية شاملة . وجدى رزق غالى ـ ط . الهيئة المصرية ١٩٧١ م .

٨٩ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية

٩٠ ـ معجم شمال المغرب د. عبد المنعم سيد عبد العال ١٩٦٨ م

٩١ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ـ طاش كبرى زادة .

٩٢ ـ مقدمة ابن خلدون ط. الخيرية : ١٣٢٢ هـ .

٩٣ ـ مقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أحمد الفرح بيروت ١٩٦٦ م .

٩٤ ـ الملاحن ـ ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) ، إبراهيم إطفيش الجزائرى ط. السلفية ١٣٤٧ هـ .

٩٥ ـ مميزات لغات العرب وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك حفني ناصف ط . الأميرية ١٣٠٤ هـ .

٩٦ ـ من أصول اللهجات العربية في السودان ـ د. عبد المجيد عابدين

٩٧ ـ مناهج البحث في اللغة ـ د. تمام حسان ط. الرسالة ١٩٥٥ م .

٩٨ ـ المواهب الفتحية : الشيخ حمزة فتح الله ط. بولاق ١٣١٢ هـ

٩٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة م ؛ لجنة ط (١) ١٩٦٥ م .

١٠٠ ـ نحو عربية ميسرة د. أنيس فريحة ـ بيروت ١٩٥٥ م .

١٠١ ـ النهاية في التعريض والكناية ـ الثعالبي (أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل) .

تصويب الأخطاء

ص	س	الكلمة	الصواب	ص	س	الكلمة	الصواب
٣	١٨	بدونها	دونها	٥	٢٣	اللجان	اللهجات
	١٣	فيد	فيسد		٧	اللجات	اللهجات
٧	٩	يزيد عن	يزيد على		١٤	الإحامة	الإحاطة
٧	٩	لمحمد بن عبد المجيد خان ـ لحسن حسن صديق القنوجي					
٨	١٥	ظواهر	ظواهرها	٢٤	٢	ولانزال	ولانزال
٩	٩	بدونها	دونها		٤	للهجات	اللهجات
	١٤	اللجات	اللهجات		١٢	اللجات	اللهجات
١٢	٣	النخلاء	البخلاء	٢٥	٦	وبتابع	ويتابع
١٣	٥	أو	أم		١١	قل	قبل
١٤	٨	على دارس	لدارس		١٤	أصحابه	أصحاب
١٥	٤	‘	،	٢٦	١٢	فبها	فيها
	٥	مخبرون	مخبرين		١٧	ويتضحأن	ويتضح له أن
١٦	١٠	‘	،		٢١	يخض	يخفى
١٧	٢	الآن	الآتى		٧	الشرصة	الشرطة
	٦	اعربية	العربية		٧	الــ	التى
	٢٤	٢٨٢	٣٨٢		٧	يستخدم	تستخدم
١٨	١٤	والسؤال	السؤال		١١	دالعلاقة	والعلاقة
١٩	١٧	يتكون	تكون		١٧	سنها	فيها
	١٩	طبيعيا	طبعيا	٢٩	٢٠	فها	فيها
٢٠	٢١	لخصائص	الخصائص	٣٠	١	مزايا	مزاياها
	٢١	حجا	جنى		١٣	الملاقات	العلامات
٢١	٢٣	ترليب	تركيب		١٨	أحكام	الأحكام
٢٢	١٩	قدبما	قديما	٣٢	٤	ل	بل
	٥	اللجهات	اللهجات		٩	وصل	يوصل

ص	س	الكلمة	الصواب
	٢٠	جارد	كجارد
٣٤	١	التعرف	التعريف
	٢٠	(٢)	(٣)
٣٥	٩	وجوازا	وجوارا
	١٠	دار	د/
	٤	الأنشطة	الأنطة
	١١	لغرض	الغرض
	١٣	الألفاظ	الألفاظ
	١٥	يستغى	يستغنى
	١٩	أغاطا	أنماطا
٣٨	١٩	الشاط	النشاط
	٥	الـول	القول
	٨	المصقية	المنطقية
	١١	قبل ئل	قبائل
	١٨	محتاج	تحتاج
	٢٢	لهجة من	لهجة أصدق من
٣٩	٣	صونيه	صوتية
	٥	و شترك	ويشترك
	٦	بيمة	بيئة
	١٣	صورة	الصورة
	١٧	اللجات	اللهجات
	٢٤	ماضرةوحاضرة	ماضيه وحاضره
٤٠	٢٤	يستملون	يستعملون
	١٦	ا ٢	التى

ص	س	الكلمة	الصواب
	١٩	عن لغة أى	ولغة تتفرع عن لغة أى
٤١	١٥	قاصرة	مقصورة
٤٢	٢١	وتعبر	تعبر
٤٤	٩	ذك	ذلك
	١٠	للهجات	اللهجات
٤٥	٢	أن المهدى	أو المهدى
	٢	أو قدم	أن قدم
٤٦	٥	ينها	بينها
٤٨	٢١،٢	سواء به كان	سواء كان
٥٠	١٩	لاإلاالإمكانى	لا الإمكانى
٥٢	١٥	إلى	التى
٥٤	٢	أنه	بأنه
٥٦	١٣	العام	العالم
٥٨	٩	بل وقضت	بل قضت
	٢٢	بدون	دون
٦٣	٦	قاصرة	مقصورة
٦٥	١٥	لديبلوماسية	الديبلوماسية
٦٦	١٥/١٦	بل بل والمتوقع	بل المتوقع
	١٦	طبيعة	طبعية
٦٧	٧/٨	بها واللغات	بله اللغات
٦٩	٣	بل	بابل
٧٠	٢٣	تمدد	تمددت

ص	س	الكلمة	الصواب
	٢٥	بين اللهجات	بين اللغات أو اللهجات
٧١	٧	وخط	ونمط
٧١	٨	تفرغ	تفرع
	١٣	الشامية	السامية
٧٢	١٨	دبثهم	دنثهم
٧٣	٧	الثمر	الثمد
٧٤	٣	لقينانهم	لقيناهم
٧٥	١٥	والنبات	والبنات
٧٧	٦	صور	صورة
٧٨	٢١	١٥٩٠	١٩٥٠
٧٩	٢٣	٥٢٤	٢٥٤
	٢٤	٠٢٩	٢٩٢
٨٠	٦	وبدونه	ودونه
٨١		وقد قسم ...	زائدة تلغى
	٨٣	اللهجات	
	١٧	اللجة	اللهجة
٨٢	١١	اللجهات	اللهجات
٨٧	١٣	القيس ملك	القيس بن عمرو ملك
٨٩	٣	وعذ بث	ومنابت
	٧	وزال	وذاك
٩٠	٦	مض	بعض
٩٢	٢	اعدادها	أعداد

ص	س	الكلمة	الصواب
	٢٣	نيسلن	نيلسن
٩٣	١١	عن	على
	٢١	٥٤٧	٢٤٧
	٢٣	١٩٣٠	١٩٠٨
٩٦	٢٠	موعظم	ومعظم
٩٧	٢	وكثيرا	وكثير
٩٨	١٣	ونزار	ونزارا
١٠٠	١٥	مع بعضها البعض	بعضها بعضا
١٠٠	١٥	مع اللغات	اللغات
	١٩	جزام	جذام
	٢١	واليمن	والنمر
١٠٦	١	للقبط	للنبط
	١٠	بعد	بعد
١٠٧	٢٠	غير	نمير
١٠٨	١١	الشاريز	الشواريز
	٢١	واعتداد	واعتدادا
	٦	والنعاضى	والتغاضى
	١٨	لها غيرها	فى غيرها
	٢٤	بينها	بينهما
	٢٤	نقداخلا	فتداخلا
١١١	٩	والحجاح	والحجاج
	١١	أصحاب	وأصحاب

ص	س	الكلمة	الصواب	ص	س	الكلمة	الصواب
	١٥	قدمك	قومك	١٢٥	٣	مامنين	مأمنك
١١٣	٣	خد	أحد		٧	أمرق	امرىء
١١٤	٤	وجودها	بوجودها		٢١	ص:	ص١١٤ـ١١٥
	٥	هى	هل	١٢٦	١٧	المركز	المذكر
١١٥	١٥	وكل	كل		١٨	الشمنمنة	المنمنة
١١٦	١٢	جيما	جيما	١٢٧	١	وقوم	قوم
١١٨	٥	وبين الفتحة	وبين مامنه الفتحة		١٠	كالغات	كالنات
					١١	ومطلقا	مطلقا
	١٥	:	،	١٢٨	٤	إل	إلا
	١٥ـ١٦	قرائن والأشعار	قراءة القرآن والأشعار		١٢	درمى	ورمى
١٢٠	٢١	بعد	بين				

فهرس الموضـــوعات

الموضوع — الصفحة